

اللواء الركن
محمود شيت خطاب

الطبعة الثانية
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

دار الاعتصام

الطبعة الأولى
١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣م
الطبعة الثانية
١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

« إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » . .

« القرآن الكريم »

« وإنك لعــلى خلق عظيم »

« قرآن كريم »

مقدمة الطبعة الثانية

النبي المصطفى صلوات الله وتسليمه عليه ، هو قائدنا وقدوتنا ورائدنا وزعيمنا ، ودراسة سيرته واقتفاء أثره منهج عمل للمسلمين كافة فى كل زمان ومكان . .

ودراسة سيرته العطرة عليه أفضل الصلاة والسلام ، واجب كل مسلم ، حاكماً ومحكوما ، ورئيساً ومرءوساً ، وعالمـاً وجاهلا ، وغنياً وفقيرا ، وضابطاً وجنديا .

إن دراسة سيرته الكريمة ، تؤثر فى العقول والقلوب معاً ، ويستفيد منها كل دارس ، فأعماله تطبيق عملى لتعاليم الإسلام ، وأقواله تفصيل للكتاب العزيز ، وأخلاقه أخلاق القرآن الكريم ، ومنهجه طريق الدعاة .

وقد دأبت منذ نعومة أظفارى على دراسة السيرة المطهرة ، فأثرت دراستها فى نفسى أى تاثير .

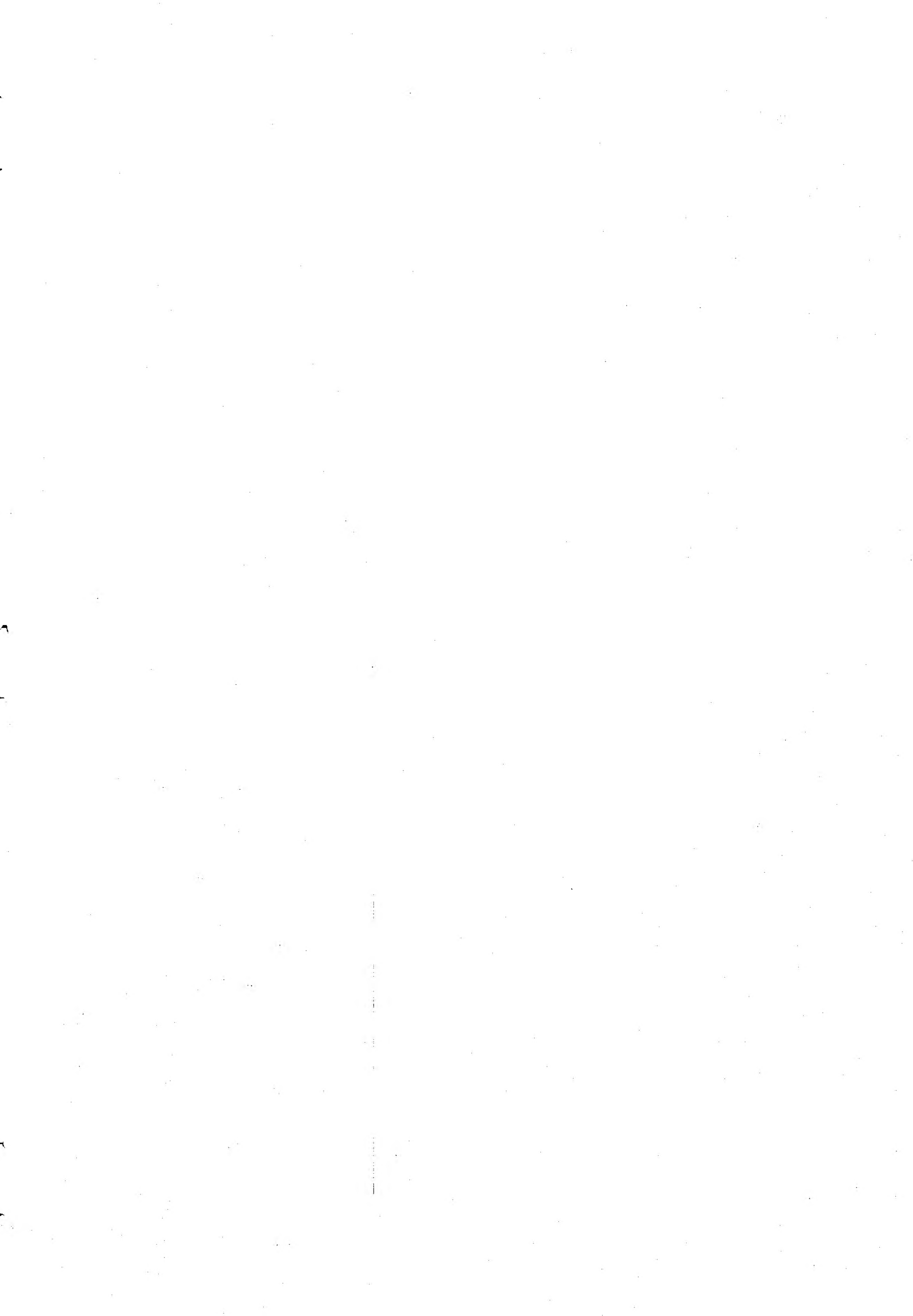
وهذه الومضات محاولة لاختصار السيرة اختصاراً غير مخل ، فهى تفيد العالم والجاهل ، والتلميذ والمعلم ، والطالب والأستاذ ، وتفيد الداعية والدعـوة .

أدعو الله العلى القدير ، أن يفيد بهذه الومضات ، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم . .

والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وصلى الله على سيدى ومولاى رسول الله سيد القادات وقائد السادات ، رجل الرجال وبطل الأبطال ، إمام المجاهدين وقائد الغر الميامين . .

ورضى الله عن قادة الفتح الإسلامى وجنوده ، وقادة الفكر الإسلامى وجنوده ، وعن كل من خدم القرآن لغة وعقيدة وتشريعا .

والحمد لله رب العالمين . .



مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

بعث الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام للناس كافة ، فأدى الأمانة وبلغ الرسالة وجاهد فى الله حق جهاده ، حتى جاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجاً .

كان عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه مثالا حياً ونموذجاً رائعاً للخلق الكريم والاستقامة والصدق والوفاء ، حتى لقبه أهل مكة ومن حولها من العرب : بالصادق الأمين .

وحين بلغ سن الأربعين من عمره ، جاءه جبريل عليه السلام وهو فى غار (حراء) يتعبد ، فبلغه رسالة الله ، وتلا عليه أول آيات القرآن الكريم : (إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) .

ومضى عليه أفضل الصلاة والسلام يدعو إلى الله على بصيرة ، ويبشر وينذر متحملا من قريش التكذيب والتعذيب ، حتى أخرجه قومه من بلده الأمين مكة ، فهاجر إلى المدينة المنورة ثانى اثنين لا يبالى بشىء ، ولا يرجو غير تبليغ رسالة الله أو يهلك دونها .

وبدأ حياته الجديدة فى قاعدة المسلمين الأولى : المدينة المنورة ، لتكون كلمة الله هى العليا ، حشداً للمسلمين ، وتنظيم قوتهم وإعداد الخطط لحماية الدعوة ونشرها بالحكمة والموعظة الحسنة .

لقد قضى الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام فترة حياته المباركة منذ بعثته حتى التحاقه بالرفيق الأعلى ، فى مكة المكرمة موحداً من أجل الجهاد وفى المدينة المنورة مجاهداً من أجل التوحيد ، فلم يلتحق بالرفيق الأعلى إلا وكانت شبه الجزيرة العربية موحدة تحت لواء الإسلام ، بعد أن

أكمل الله دينه ، وأتم نعمته ، ورضى الإسلام ديناً للبشرية كلها حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

إن تعاليم الإسلام هى عبادات شخصية هدفها أن يكون المسلم عنصراً مفيداً فى المجتمع الإسلامى : يتحلى بالخلق الرفيع ، ويلتزم بالمثل العليـــا . وهى أيضاً فروض عامة هدفها خدمة المصلحة العليا للمسلمين بالجهاد بالأموال والأنفس فى سبيل الله .

قال سبحانه وتعالى فى وصف نبيه الكريم : (وإنك لعلى خلق عظيم) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ، وقال : (لا الشرك بالله ولا الإضرار بالناس) ، وقال (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

لقد جعل الإسلام من تعاليمه الخلقية الرفيعة حارساً يقظاً أميناً فى وجدان كل مسلم يحاسبه على كل تصرفاته الشخصية والعامة ، لذلك بقى قضاء الشيخين أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب — رضى الله عنهما — بدون عمل ما دام المسلمون متمسكين بتعاليم الإسلام ، وبهذا حقق الإسلام حلم الإنسانية الذى لا تزال تحلم به وتلهث وراءه دون جدوى . . حلم المدينة الفاضلة . .

وقد وضعت الحضارات القديمة والحديثة قوانين رادعة يسهر عليها الشرط والحراس وأصحاب السلطة ، ولـكن القوانين لم تردع أحداً لا يملك الوازع الوجدانى الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

إن هذا العصر الذى نجح فى تطوير العلوم التطبيقية والوصول إلى القمر ، أخفق فى تطوير معاملات البشر أفراداً وأمماً بعضهم لبعض . لذلك لا يزال البشر بعيدين عن الكمال ، لأن حضاراتهم اهتمت بظاهر الإنسان وحياته المـــادية ، بينما اهتم الإسلام بباطن الإنسان وظاهره وبحياته المـادية والروحية على حـــد سواء .

سمع رجل من ملوك الصناعة فى أكبر دولة صناعية أحد الدعاة المسلمين يتحدث عن تعاليم الإسلام الخلقية ، فتنهد رجل الصناعة وقال : « إننا

عجزنا عن إنتاج ما يطهر النفس البشرية ، فما أحوجنا إلى تعاليم الإسلام . وما أخسر الإنسان الذى يربح العــالم ويخسر نفسه » .

إن التعاليم الخلقية فى الإسلام هى التى يحتاجها البشر فى كل زمان ومكان وفى كل الظروف والأحوال ، لذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ، وكان الإسلام خاتم الأديان .

ألزم الإسلام المسلم فرداً والمسلمين أمة بتعاليمه الخلقية الفاضلة فى الحياة الخاصة والعامة وفى السلم والحرب .

المسلم الحق لا يسرق ولا يكذب ولا يخون ولا يغش أحداً ولا يزنى ولا يرتكب الموبقات ولا يتعدى على أحد . سريرته كعلانيته وعلانيته كسريرته ، لا يتكبر ولا يتعالى ولا يصعر خده للناس ، ولا يمشى فى الأرض مرحاً ، يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فى أمواله حق معلوم للسائل والمحروم ، تذوب مصلحته الخاصة فى مصلحة أمته العامة .

والمسلم الحق يخضع لتعاليم الإسلام العسكرية مطيع لا يعصى ، صابر لا يتخاذل ، شجاع لا يجبن ، مقدام لا يتردد ، مقبل لا يفر ، صامد لا يتزعزع مجاهد لا يتخلف ، يخوض حرباً عادلة لإحقاق الحق وإزهاق البــاطل .

والمسلمون يخوضون حرباً لحماية حرية نشر الدعوة ، لا يعتدون على أحد ولا يقاتلون إلا دفاعاً عن العقيدة والعرض والأرض ، يعتبرون القتال كفاح شرف لا يجوز أن يلجأ المحاربون فيه إلى عمل أو إجراء يتنافى مع الشرف والحق والعدل والإنصاف ، فهم مقيدون باحترام العهد والترفع عن الخيانة ، ومواساة الجرحى والمرضى والأسرى والعناية بهم ، وعدم التعرض بسوء لغير المقاتلين من النساء والأطفال والشيوخ والرهبان والفلاحين. بل تتعدى رحمتهم إلى مجال عالم النبات فلا يقطعون شجرة مثمرة ، وإلى مجال عالم الحيوان فلا يلحقون بها الأذى لمجرد أنها ملك الأعداء .

كما أن المسلمين يخوضون حرباً لتوطيد أركان السلام ، لأن الإسلام دين سلام : (وإن جنحوا للسلم فاجنح لهـا) ، وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) .

ولكن السلام الذى يدعو إليه الإسلام ، هو سلام الأقوياء لا سلام الضعفاء ، فهو سلام لخير الناس لا استسلام لصالح العدو .

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده تجسيداً عملياً لهذه المثل الأخلاقية الرفيعة ، لذلك انتصرت فئتهم القليلة فى أيام الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام وفى أيام الفتح الإسلامى العظيم الذى امتد من سنة إحدى عشرة الهجرية إلى سنة اثنتين وتسعين الهجرية على الفئة الكثيرة من المشركين ويهود والفرس والروم وأمم كثيرة أخرى ، حتى شملت دولة الإسلام فى فترة قصيرة من عمر الزمن من الصين شرقاً إلى قلب فرنسا غرباً ، ومن سيبريا شمالا حتى المحيط جنوباً .

كان انتصار المسلمين على أعدائهم انتصار عقيدة لا مراء ، فلما بدلوا ما بأنفسهم انحسر مد الفتح الإسلامى العظيم ، حتى أصبحوا ضعفاء بعد قوة وأذلاء بعد عزة .

لقد انتصروا بالإسلام بما فيه من بذل وتضحية وفداء ، ولن ينتصروا بغيره أبداً . .

والعرب بالإسلام كل شيء ، والعرب بدون إسلام لاشيء ، وتاريخهم البعيد والقريب خير دليل .

إن الرسول القائد هو قدوتنا وأسوتنا ، كما أن أصحابه كالنجوم بأيهم اقتدينا اهتدينا .

وقد كان النبي — صلى الله عليه وسلم — المثل الأعلى فى الخلق الكريم ، وكان إمام المجاهدين وقائد الغر الميامين .

قالت أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — : (كان خلق النبي — صلى الله عليه وسلم — القرآن) .

وقال على بن أبى طالب بطل الإسلام : (كنا إذا اشتد الخطب واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله — صلى الله عليه وسلم — فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه . ولقد رأيتنى يوم « بدر » ونحن نلوذ برسول الله ، وهو أقربنا إلى العدو) .

وقد كان سبيله إلى غرس تعاليم الإسلام فى النفوس والعقول معاً ، هو أن يكون المثال الشخصى لأصحابه ، فعمل عملا دائباً فى بناء الرجال وكانت له قابلية فذة فى اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، فلما التحق بالرفيق الأعلى خلف بين المسلمين رجالا أفذاذاً فى السياسة والإدارة والعلوم والقيادة قادوا المسلمين إلى المجـــد والسؤدد على هدى وبصيرة .

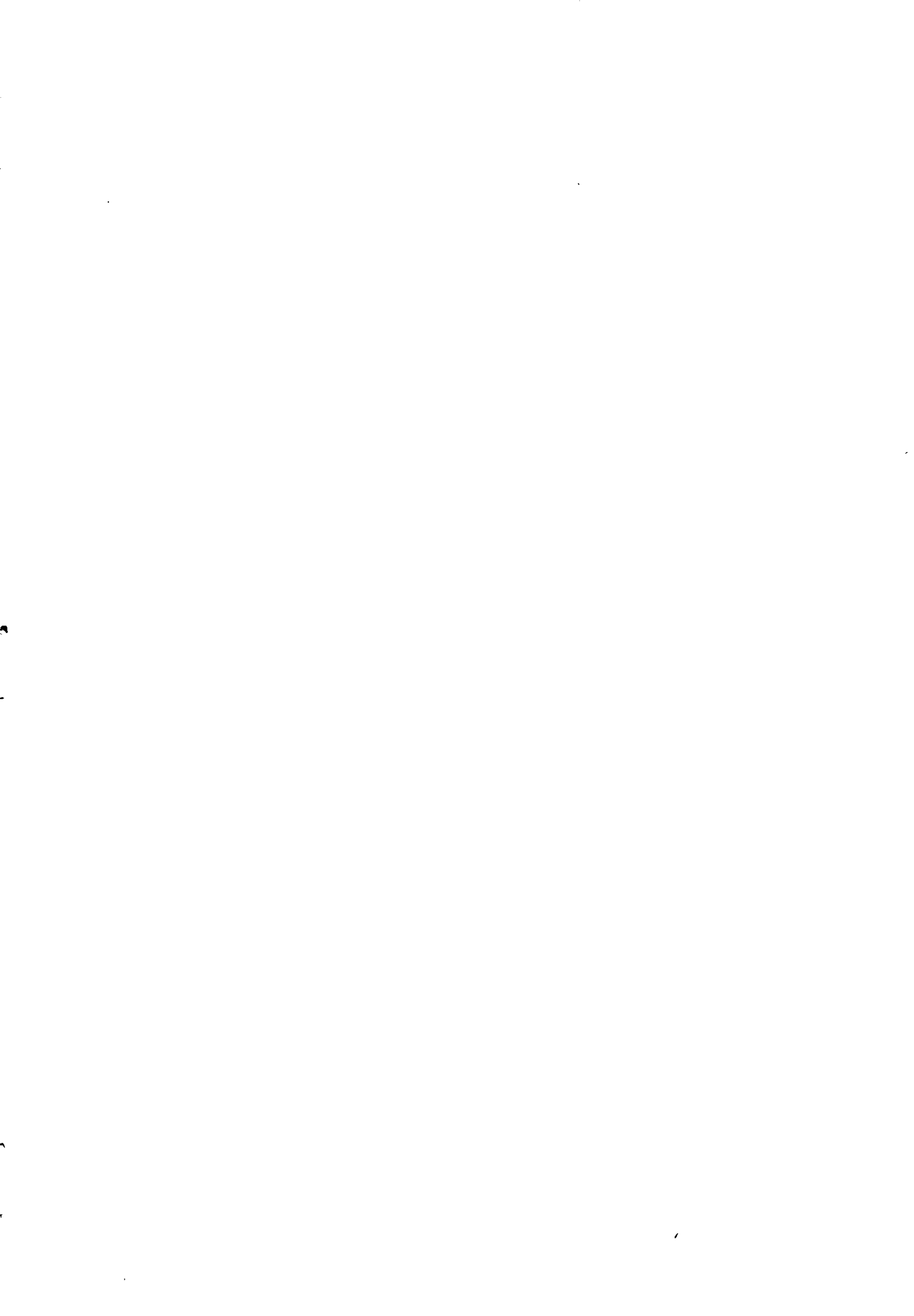
وقد قاد النبي – صلى الله عليه وسلم ، ثمانى وعشرين غزوة خلال سبع سنين ، إذ خرج إلى غزوة (ودان) وهى أول غزوة قادها النبى – صلى الله عليه وسلم - بنفسه فى صفر من السنة الثانية الهجرية ، وكانت غزوة (تبوك) آخر غزواته فى رجب من السنة الثامنة الهجرية .

وقد نشب القتال بين المسلمين الذين كانوا بقيادته وبين المشركين أو يهود بتسع من تلك الغزوات هى : بدر ، وأحـــد ، والخندق ، وقريظة والمصطلق ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، والطائف ، بينما فر المشركون فى تسع عشرة غزوة منها بدون قتال .

وقد قاتل تحت رايته السوداء المربعة الشكل ، طولها ذراع وعرضها ذراع ، فى وسطها هلال أبيض فتحته متجهه إلى الشمال باتجاه طرف الراية السائب ، فقاد المسلمين من نصر إلى نصر تحت هذه الراية التى كانت تسمى بالعقاب ، لأن هذا الطائر هو أشجع الطيور وأكثرها إقداماً وعزة ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

فما أحرى المسلمين أن يقتدوا بالنبي الكريم صلوات الله وتسليمه عليه فى سلوكه ، تطبيقاً لتعاليم الإسلام وفى القتال تحت رايته السوداء ، ليعود إليهم مجدهم الضائع وتعود إليهم عزتهم وكرامتهم ، ولترتفع راية الإسلام الخالدة فوق المسجد الأقصى والأرض المقدسة .

والله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وصلى الله على سيدنا ومولانا رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين .



لمحات من حياة

النبي

صلى الله عليه وسلم



من ولادته إلى النبــوة

ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين عام الفيل لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول (١) .

أبوه : عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان .

وأمه : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، فتجتمع معه عليه الصلاة والسلام فى جده كلاب .

اصطفى الله سبحانه وتعالى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفى النبي صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم ، فهو خير الناس نسباً ، وخيرهم بيتاً .

مات أبوه وهو فى بطن أمه ، ولم يترك له من المـــال الا خمسة جمال وجارية وبعد مولده أرضعته مرضعته حليمة السعدية . وذلك أنه كان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم فى البوادى ، ليكون أنجب للولد ، فدرت البركات على أهل بيت حليمة السعدية مدة وجوده بينهم ، وكانت تزيد على أربع سنوات .

وفى السنة السادسة من عمره ، أخرجته أمه إلى أخواله بالمدينة المنورة ، فتوفيت بالأبواء(٢) ، فحضنته أم أيمن ، وكفله جده عبد المطلب ، ورق له رقة لم تعهد منه فى ولده .

وبعد سنتين من كفالته ، توفى جده عبد المطلب ، فكفله عمه أبو طالب وكان شهماً كريماً ، غير أنه كان من الفقر بحيث لا يملك كفاف أهله .

وفى السنة التاسعة ، سافر إلى الشام السفرة الأولى مع عمه أبى طالب ، وقد اجتمع رجال القافلة وهم بقرب (بصرى) بالراهب (بحيرى) ،

---

(١) يوافق مولده عليه الصلاة والسلام يوم ٢٠ نيسان (ابريل) سنة ٥٧١ م

(٢) قرية بين مكة والمدينة ، وهى إلى المدينة أقرب .

فأخبرهم عن ظهور نبي من العرب فى هذا الزمان ، كما عرف ذلك من كتبهم المقدسة ، فقالوا : إنه لم يظهر الى الآن . .

وفى سنة عشرين حضر حرب (الفجار) وهى حرب كانت بين قريش وحلفائها وبين قيس وحلفائها فى موضع بين مكة والطائف يسمى (نخلة) .

وفى سنة خمس وعشرين سافر إلى الشام للمرة الثانية بتجارة خديجة بنت خويلد ، وكانت تستأجر الرجال فى مالها . وقد اختارته لهذا العمل لما سمعت عنه من الأمانة والصدق وغيرهما من الصفات الجميلة التى جبل عليها منذ حداثته ، حتى سماه قومه بالأمين . وسافر معه (ميسرة) غلامها ، فباعا وابتاعا وربحا ربحاً جسيما . وفيها تزوج بخديجة بعد عودته من الشام بشهرين ، وهى التى خطبته لنفسها ، ولها من العمر إذ ذاك أربعون سنة .

وفى سنة خمس وثلاثين جاء سيل جارف ، فصدع جدران الكعبة بعد حريق كان قد أصابها ، فعزمت قريش على بنائها ، وقد شهد النبى — صلى الله عليه وسلم — بناءها وعمل فيه .

واختلفت قريش فيمن يضع الحجر الأسود فى موضعه حتى كادوا يقتتلون لذلك ، ففصل هذا المشكل العظيم الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة والسلام ، فإنه بسط رداءه وقال : (لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب) ، ثم وضع الحجر فيه ، وأمرهم برفعه حتى انتهوا إلى موضعه ، فأخذه النبى — صلى الله عليه وسلم — ووضعه فيه بيده الكريمه .

وقد نشأ عليه أفضل الصلاة والسلام دون أن يكون عنده ما يستغنى به عن الكسب ، لذلك لما بلغ مبلغاً يمكنه أن يعمل عملا ، كان يرعى غنما مع إخوته من الرضاعة فى البادية ، وكذلك لما رجع إلى مكة كان يرعاها لأهلها على قراريط(١) .

وكان عليه الصلاة والسلام إذا استغنى لجأ إلى ربه متعبداً حامداً شاكراً ، وكان يقضى أكثر أوقاته التعبدية فى غار حراء .

وبعد زواجه من خديجة أم المؤمنين ، أعطى أكثر وقته للعبادة فى صومعته المفضلة : غار حراء . لأن خديجة — رضى الله عنها — كانت غنية ، فكفته مشقة العمل ، فتفرغ لعبادة الله .

---

(١) أى أجر قليل .

من النبوة إلى الهجـــرة

انقطع النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الناس وتفرغ للتعبد والمراقبة ، فكان أول ما فتح عليه هو ما كان يراه من الرؤيا الصالحة الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كما رأى كفلق الصبح .

وقد اختار لعزلته غار (حـــراء) ، فصار يتعبد فيه ليالى معلومة ، فتارة عشراً وتارة أكثر . وكان يأخذ لذلك الزاد ، ومتى فرغ منه رجع إلى خديجة فيتزود لمثلها .

ولمـــا بلغ عمره – عليه الصلاة والسلام – أربعين سنة ، نزل عليه الوحى ليعلمه كيف يهدى قومه والناس أجمعين .

وبدأ يدعو إلى الله سراً ، فكان أول من آمن به من الرجال أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – ومن النساء زوجته خديجة – رضى الله عنها – ومن الصبيان على بن أبى طالب – رضى الله عنه .

فلما نزل قوله تعالى :**(فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين)**، بدأ يدعو إلى الله جهراً ، وقد لقى من أجل ذلك أذى عظيماً من قومه ، كالرمى بالحجارة ورمى القذر على بابه ، وعزمهم على خنقه وقتله ، وكان يشتد أذاهم إذا ذهب إلى الصلاة عند البيت .

وفى السنة الخامسة من النبوة ، أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بالهجرة إلى الحبشة تخلصاً من أذى قريش .

وفى السنة السابعة من النبوة ، دخل النبي الشعب مع أبى طالب وبنى هاشم والمطلب مسلمهم وكافرهم – ما عدا أبا لهب – وذلك عندما همت قريش بقتله حين رأوا أن أمره فى ازدياد ، وأن الإسلام قد فشا وانتشر فى القبائل . ولمـــا علمت قريش بدخولهم الشعب أجمعوا على منابذتهم وألا يقبلوا لهم صلحاً أبداً ، وقطعوا عنهم الأسواق ومنعوهم الرزق إلا أن يسلموا

محمداً للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفة تتضمن التضييق عليهم فى كل شئ وعلقوها فى جوف الكعبة .

وبعد دخول النبي – صلى الله عليه وسلم – شعب أبى طالب ، أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ، وهى الهجرة الثانية .

وفى السنة العاشرة قام رجال من قريش بنقض الصحيفة ، فخرج النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن معه بعد أن مكثوا فى الشعب نحو ثلاث سنوات فى الجهد والجوع ، لا يصل إليهم شئ إلا سراً ، حتى أنهم أكلوا أوراق الشجر .

وتوفيت خديجة فى السنة العاشرة وكذلك توفى عم النبي – صلى الله عليه وسلم – أبو طالب بعد نحو شهرين من وفاة خديجة رضى الله عنها ، وكان أبو طالب يدرأ عن النبي – صلى الله عليه وسلم – الأعداء ويمنعه ممن يريد أذاه .

وبعد وفاة أبى طالب ، نالت قريش من النبي – صلى الله عليه وسلم – ما لم تقدر على نيله منه قبل ذلك ، واشتد أذاهم له وتعصبهم عليه .

فلما رأى ذلك هاجر إلى الطائف حيث يقيم بنو ثقيف ، ليعينوه على قومه ويساعدوه حتى يتمم أمر ربه ، ولكن ثقيفاً ردوا عليه رداً قوياً وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ، ورموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدم .

وعاد عليه أفضل الصلاة والسلام إلى مكة المكرمة ، فدخلها فى جوار المطعم بن عدى .

وفى الحادية عشرة ، أكرمه الله بالإسراء والمعراج ، أما الإسراء فهو توجهه ليلا من المسجد الحرام(١) إلى المسجد الأقصى (٢) وعودته من ليلته ، وأما المعراج فهو صعوده فى العالم العلوى ، وفيه فرضت الصلوات الخمس .

ولما رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – أن قريشاً لم تسلم ، خرج إلى مواسم العرب ويعرض عليهم نفسه ، فكان منهم من يرده رداً قبيحاً ، ومنهم من يرده رداً حسنا .

---

(١) هو مسجد مكة .

(٢) هو مسجد القدس .

ومن عرض النبي — صلى الله عليه وسلم — نفسه عليهم نفر من عرب (يثرب)(١) من الأوس ، فلما كلمهم النبي — صلى الله عليه وسلم — عرفوا وصفه الذى كانت تصفه به الكتب المقدسة ، فآمن منهم ستة كانوا سبب انتشار الإسلام فى المدينة ، ثم انصرفوا بعد أن وعدوه بالمقابلة فى العام القادم .

فلما كان العام الثانى ، لقيه اثنا عشر رجلا ، منهم عشرة من الأوس ، واثنان من الخزرج ، فآمنوا عند (العقبة) وبايعوه على ما أحب ، وهى بيعة العقبة الأولى .

وانتشر الإسلام فى المدينة ، فلقيه بعد عام سبعون رجلا من مسلمى الأوس والخزرج وبايعوه عند (العقبة) ليلا ، وهى بيعة العقبة الثانية .

---

(١) كانت المدينة تسمى (يثرب) وأصبحت المدينة ، أى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فى المدينـــة المنورة

بعد انتشار الإسلام فى المدينة المنورة ، أمر النبى — صلى الله عليه وسلم — المسلمين جميعاً بالهجرة إليها ، لازدياد الأذى عليهم ، فصاروا يتسللون خوفاً من أن تمنعهم قريش ، ولم يبق فى مكة إلا القليل من المسلمين .

أما زعماء قريش ، فلما رأوا ذلك وقدروا أن هجرة المسلمين لها ما بعدها خاصة إذا هاجر النبى — صلى الله عليه وسلم — أجمعوا على قتله ، فجمعوا من كل قبيلة شاباً ليشتركوا فى قتله ، حتى يتفرق دمه فى القبائل . وأعلم الله نبيه بما دبره الأعداء من الكيد ، وأمره بالتوجه إلى دار هجرته : المدينة المنورة .

وتواعد هو وأبو بكر الصديق — رضى الله عنه — على السفر ، وكانت ليلة خروج النبى — صلى الله عليه وسلم — هى الليلة التى استعد المشركون فيها لاغتياله ، حيث طوق الشبان داره من كل جانب وهم مدججون بالسلاح . ولكن النبى — صلى الله عليه وسلم خرج من داره ، فألقى الله النوم عليهم فلم يره منهم أحد ، وخلف مكانه ابن عمه على بن أبى طالب — رضى الله عنه — ليؤدى ودائع للناس كانت عنده .

وسار حتى اجتمع بأبى بكر — رضى الله عنه — فاسرعا حتى وصلا إلى غار (ثور) فاختبآ فيه ، وكانت سنه إذ ذاك ثلاثاً وخمسين سنة .

فلما علم المشركون بفساد مكرهم هاجوا لذلك ، فأرسلوا الطلاب فى كل جهة ، وجعلوا لمن يأتى به أو يدل عليه مائة ناقة ، وقد جدوا فى طلبه ووصل بعضهم إلى الغار ، ولكن الله أعمى أبصارهم عنهما .

وبعد ثلاثة أيام من اختفائهما فى الغار . جاءهما الدليل براحلتين ، فساروا قاصدين المدينة ، ووصلوا إلى (قباء) يوم الإثنين لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول ، وكان التأريخ من ذلك ، ثم رد إلى المحرم ، وهو أول تأريخ

جديد لظهور الإسلام ، بعد أن مضى عليه ثلاث عشرة سنة وهو مضيق عليه من مشركى مكة .

وبهذه الهجرة تمت للنبي – صلى الله عليه وسلم – سنة إخوانه الأنبياء قبله ، فما من نبي إلا نبت فى بلاد نشأته ثم هاجر عنها .

وقد بنى النبي – صلى الله عليه وسلم وهو فى (قباء) مسجدها الذى وصفه الله عز وجل بأنه : (مسجد أسس على التقوى من أول يوم) ، وقد صلى فيه عليه أفضل الصلاة والسلام بمن معه من المهاجرين والأنصار .

ثم خرج من (قباء) فلما وصل إلى مشارف المدينة استقبله الأنصار ، وقد خرج لملاقاته فيمن خرج النساء والصبيان والولائد ينشدون :

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعى لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع

إن هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم – معناها : اجتماع القائد بجنوده فى قاعدتهم الأمينة .

وبهجرته إلى المدينة نشأت الدولة الإسلامية ، فتاريخ هذه الدولة مقترن بالتاريخ الهجرى . وباستقراره عليه الصلاة والسلام فى المدينة المنورة ظهر عنصر (السلطة) متركزة فى شخصه الكريم باعتباره الرئيس الأعلى للمسلمين الذين اتخذوا المدينة مقراً لهم .

وفى السنة الأولى من الهجرة ، بنى النبي – صلى الله عليه وسلم – مسجده الشريف بالمدينة المنورة ، وقد عمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين فى العمل ، وفيها شرع الأذان ليجتمع الناس متى حان وقت الصلاة .

وقد تم ببناء هذا المسجد الثكنة الأولى فى الإسلام ، ولو أن المسجد لا يقتصر على القضايا العسكرية بل هو مدرسة للعلم ، ومكان للعبادة ، ومحكمة للقضاء ، ومستشفى للمرضى ، ومثابة للاجتماع .

ولما رأى اليهود أن قدم الإسلام قد رسخت فى المدينة ، هاجتهم العداوه

والبغضاء والحسد ، فتحزبوا على المسلمين . ثم عقد النبي – صلى الله عليه وسلم – عقداً مع يهود أن يتركوا أذاه ويترك محاربتهم ، ولكنهم نقضوا العقد وخانوا المسلمين وحرضوا على قتالهم ، وقاتلوهم فى كل فرصة سانحة .

ونزلت أول آية للجهاد : **(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله)** ، فخرج النبي – صلى الله عليه وسلم – غازياً فى صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مقدمه إلى المدينة ، وبذلك بدأ الجهاد (فعلا) فى الإسلام .

وفى السنة الثانية الهجرية تحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة . وفى شهر شعبان من تلك السنة فرض صوم رمضان ، وكان عليه الصلاة والسلام قبل ذلك يصوم ثلاثة أيام من كل شهر . وقد أوجب الشارع الحكيم عقب الصوم زكاة الفطر ، وجعل قبول الصوم معلقاً على بذلها لمستحقها .

وفى السنة الثانية الهجرية أيضاً فرض الله الزكاة على الأغنياء التى هى النظام الوحيد لدفع غائلة الفقر والحاجة عن الفقراء ، والمساكين ، والعجزة واليتامى .

وفى هذه السنة أيضاً وقعت غزوة بدر الكبرى ، وهى من المعارك الحاسمة فى التاريخ ، انتصر فيها الحق على الباطل ، والفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكبيرة المشركة .

وفى هذه السنة سن النبي – صلى الله عليه وسلم – صلاة العيد ، فكان يجمعهم فى يومى عيد الفطر والأضحى ويصلى بهم ركعتين ، ثم يخطب مذكراً وواعظاً وحاضاً على جمع الكلمة ومحذراً من التفرق ، وأن يكونوا كالجسد الواحد لا فرق بين عربى وأعجمى ، ثم يصافح المسلمون بعضهم على غاية الوئام والاتفاق ، ثم يخرجون لأداء الصدقات . وصدقة عيد الفطر زكاته ، وصدقة عيد الأضحى أضحيته .

وفى هذه السنة تزوج على بن أبى طالب بفاطمة الزهراء – رضى الله عنها – وكان عمره إحدى وعشرين سنة وعمرها خمس عشرة سنة ، وكان منها عقب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى هذه السنة دخل النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنها .

وفى السنة الثالثة الهجرية كانت غزوة (أحد) بين المسلمين وقريش ، فانتصر المشركون انتصاراً تعبوياً على المسلمين لمخالفة الرماة المسلمين أوامر الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فقتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم مع سبعين من المهاجرين والأنصار ، ولولا ثبات النبي صلى الله عليه وسلم مع نفر قليل من المسلمين ، لأباد المشركون المسلمين .

وفى هذه الغزوة شج وجهه وكسرت رباعيته(١) .

وفى هذه السنة تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها ، كما تزوج زينب بنت خزيمة ، كذلك ولد الحسن ابن على رضى الله عنهما .

كما تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم بعد موت أختها رقية ، ولذلك يسمى : ذا النورين .

وفى تلك السنة حرم الله الخمر ، وكانت غير محرمة فى أول الإسلام ، ثم حرمت تدريجياً .

وفى السنة الرابعة الهجرية وقعت غزوة بنى النضير ، فحاصرهم المسلمون وأجبروهم على الرحيل .

وفى هذه السنة نزل جبريل بصلاة الخوف ، وفيها أيضاً نزلت رخصة التيمم

وفى هذه السنة ولد سيدنا الحسين بن على – رضى الله عنه – وتزوج عليه السلام أم سلمة هند .

وفيها أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت – رضى الله عنه – أن يتعلم كتابة يهود ليكتب إليهم ، ويقرأ له ما يكتبون إليه .

وفى السنة الخامسة الهجرية وقعت غزوة (دومة الجندل)(٢) وغزوة بنى المصطلق وغزوة الخندق وغزوة بنى قريظة .

---

(١) السن بين الثنية والناب .

(٢) مدينة بينها وبين دمشق خمس مراحل ، وتبعد عن المدينة خمس عشر مرحلة .

وفى هذه السنة تزوج النبى صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ابنة عمته بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة الذى كان عليه الصلاة والسلام قد تبناه ، وقد أمره سبحانه وتعالى أن يتزوجها لإبطال عادة التبنى السيئة ، لأن العرب كانت تعتبر المتخذ ابناً كابن حقيقى — يرث ويورث إلى غير ذلك من أحكام البنوة .

وفى هذه السنة نزلت آية الحجاب ، وهو خاص بنساء النبى صلى الله عليه وسلم .

كما فرض الحج على من استطاع إليه سبيلا .

وفى السنة السادسة وقعت غزوة الحديبية ، التى جرت فيها بيعة الرضوان ، وقد هادن المسلمون قريشاً وعادوا أدراجهم إلى المدينة .

وفى هذه السنة راسل النبى صلى الله عليه وسلم الملوك يدعوهم إلى الإسلام واتخذ خاتماً من فضة فيه : (محمد رسول الله) ، منها كتاب إلى قيصر ملك الروم ، وإلى أمير بصرى ، وإلى أمير دمشق من قبل هرقل واسمه الحارث بن أبى شمر الغسانى ، وكتاب إلى المقوقس أمير مصر من قبل قيصر ، وكتاب إلى النجاشى ملك الحبشة ، وكتاب إلى كسرى أنو شروان ملك الفرس ، وكتاب إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين ، وكتاب إلى هوذة بن على ملك اليمامة .

وفى السنة السابعة وقعت غزوة خيبر بين المسلمين ويهود ، ففتحها المسلمون .

وفى هذه السنة كانت عمرة القضاء ، إذ بقى المسلمون ثلاثة أيام فى مكة بعد أن خرج عنها المشركون .

وفى السنة الثامنة وقعت غزوة (مؤتة) وفيها استشهد زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبدالله بن رواحة رضى الله عنهم .

وفى هذه السنة فتح المسلمون مكة المكرمة ، فعاد المستضعفون إلى بلدهم الأمين .

وفيها وقعت غزوة حنين والطائف .

وفى السنة التاسعة وقعت غزوة تبوك ، وهى إيذان بالفتح الإسلامى العظيم الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم رائده ومخططه الأول .

وفى هذه السنة حج بالمسلمين أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وفيها قدم وفد ثقيف فأسلموا .

وفى السنة العاشرة حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، وخطب فى (عرفة) خطبة الوداع التى بين فيها أهم أصول الدين وفروعه ، وفى هذا اليوم نزل قوله تعالى : **(اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) .**

وفى هذه السنة ، قدم المدينة وفود العرب من كل مكان معلنة إسلامها .

وفى السنة الحادية عشرة جهز النبي صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه ، وكان فى الجيش كبار المهاجرين والأنصار كأبى بكر الصديق وعمر الفاروق وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم . ولكن هذه السرية لم تتم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم . بل تمت فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به المرض ، ولما كان يوم الأحد اشتد وجعه ، وحين دخل يوم الإثنين الثانى عشر من ربيع الأول الذى هو تتمة عشر سنين للهجرة ، فارق النبى الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام دنياه ، ولحق بمولاه ، واختار الرفيق الأعلى على زهرة الحياة الدنيا ، بعد أن أدى الأمانة حق أدائها ، وهدى الناس إلى الطريق المستقيم ، ودعاهم إلى الله العظيم ، فلقى من أجل ذلك مشقات عظيمة وأهوالا جسيمة .

وكان عمره يوم وفاته ثلاثاً وستين سنة .

صلى الله عليه وسلم ، وجزاه خير ما يجزى به نبياً عن أمته .

صفاته

صلى
الله
عليه
وسلم

كان على بن أبى طالب رضى الله عنه إذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لم يكن بالطويل الممغط(١) ، ولا القصير المتردد(٢) ، كان ربعة(٣) من القوم ، ولم يكن بالمطهم(٤) ولا المكلثم(٥) . وكان أبيض مشرباً(٦) ، أدعج(٧) العينين ، أهدب الأشفار ، جليل المشاش(٨) والكتد(٩) ، رقيق المسربة(١٠) ، أجرد شثن(١١)الكفين والقدمين ليس بالسبط ولابالجعد القطط(١٢)، إذا مشى تقلع كأنما يمشى فى صبب(١٣)، وإذا التفت التفت معاً ، بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين . أجود الناس كفاً ، وأجرأ الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة صلى الله عليه وسلم) .

وعن الحسن بن على رضى الله عنه ، عن خاله هند بن أبى هالة قال :

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الهامة ، واسع الجبين ، أزج الحواجب سوابغ فى غير قرن(١٤)، بينهما عرق يدره(١٥)الغضب، أدعج العينين(١٦)، أشكل(١٧)العينين ، أكحل(١٨)وليس بأكحل ، سهل الخدين،

---

(١) الممغط : الطويل البائن .

(٢) المتردد : الذى تردد خلقه ، بعضه على بعض ، وهو مجتمع ليس بسيط الخلق ، أى ليس قصيراً .

(٣) ربعة : ليس طويلا ولا قصيراً ، بل هو وسط فى طوله .

(٤) ليس بالمطهم : بارع الجمال .

(٥) ليس بالمكلثم : مدور الوجه .

(٦) مشرب : الذى اشرب خمره .

(٧) الأدعج : الشديد سواد العين .

(٨) جليل المشاش : العظيم رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين .

(٩) هو الكاهل : وما يليه من جسده .

(١٠) الشعر المستدق ما بين اللبة، إلى السرة

(١١) شثن الكفين : يعنى انهما اميل إلى الغلظ .

(١٢) القطط : الشديد الجعودة مثل الحبشة ، يعنى أن شعره ليس سبطاً ولا جعداً .

(١٣) الصبب : الانحدار ، جمعه أصباب .

(١٤) قرن : أى أن طرف حاجبيه قد طالا حتى كادا يلتقيان .

(١٥) يدره : أى يظهره إذا امتلأ غضباً .

(١٦) الدعج : سواد العينين .

(١٧) الشكلة : حمرة فى بياض العين .

(١٨) أكحل : المكحل سواد هدب العين خلقة .

أقنى(١) العرنين ، له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشم(٢) ، ضليع الفم ، مفلج الأسنان ، أفلج الثنيتين ، يفترّ عن مثل حب الغمام(٣) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

(صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، وشممت العطر كله ، فلم أشم نكهة أطيب من نكهته ، فى عنقه سطع(٤) ، كأن عنقه جيد دمية(٥) ، بعيد ما بين المنكبين ، وكان جليل الكتد ، وكان عريض الصدر سواء البطن والصدر ، لم تعبه ثجلة(٦) ، وكان أنور المتجرد ، رقيق المسربة ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر ، عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر ، وكان شثن الكفين والقدمين ، سائل الأطراف ، رحب الراحة) .

وفى رواية : (إنه كان أزهر(٧) اللون ليس بالأبيض الأمهق)(٨) .

وعن أنس رضى الله عنه : (كانت عمامته عليه الصلاة والسلام سبعة أذرع) . والأفضل فى لونها البياض ، لعموم الأخبار الدالة على فضله كحديث أحمد والترمذى .

وفى روايات أنه صلى الله عليه وسلم لبس عمامة صفراء وسوداء وخضراء . ولكى نبسط صفات النبى صلى الله عليه وسلم لأبناء العصر ، فلابد من وصف تلك الصفات بلغة العصر أيضاً .

---

(١) أقنى العرنين : أن يكون فى عظم الأنف احديداب فى وسطه .
(٢) الأشم : الذى عظم أنفه طويل إلى طرف الأنف .
(٣) الغمام : البرد ، شبه به أسنانه فى صفائه ولمعانه ورطوبته .
(٤) سطع : طول .
(٥) جيد دمية : الصورة المصورة .
(٦) ثجلة : عظم البطن واسترخاء سفله .
(٧) الأزهر : الأبيض النير البياض الذى لا يخالط بياضه حمرة .
(٨) الأمهق : الشديد البياض الذى لا يخالط بياضه شىء من الحمرة ، وليس بنير ، ولكن كلون الجص أو نحوه ، يقول : فليس هو كذلك .

كان النبى صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير ولـكنه كان وسطاً ، بارع الجمال ، مدور الوجه كالقمر حين يكون بدراً وكالشمس ، أبيض اللون مشرباً بحمرة ، شديد سواد العينين ، أهداب أجفانه طويلة الشعر ، عظيم رؤوس الأعظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين والكاهل وما يليه من جسده ، شعره بين السرة وما تحتها دقيق ، غليظ الكفين والقدمين ، شعره ليس سبطاً ولا جعداً ، يمشى بقوة وثبات كأنه ينحدر من مرتفع عال ، يلتفت بكل رأسه ، كبير الرأس ، واسع الجبين ، فى بياض عينيه حمرة ، كثيف شعر الحواجب بدون قرن ، أكحل العينين من غير كحل ، سهل الخدين ، فى عظم أنفه أحيدداب ، ضليع الفم ، مفلج الأسنان أبيضها ، طويل العنق ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، سواء البطن والصدر لم يعبه عظم البطن ، ليس فى أسفل صدره وثدييه شعر ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر ، رحب الراحة ، تبرق أسارير وجهه ! إذا كان مسروراً وإذا غضب ظهر الغضب على وجهه ، ضخم الرأس واللحية ، شعر رأسه بين أذنيه وعاتقه طوله إلى شحمة أذنه ، حلته غالباً بيضاء وقد تكون صفراء أو حمراء ، توفى وليس فى شعره ولحيته عشرون شعرة بيضاء ، لم يختضب . طيب الرائحة ، نظيف البدن ، والثياب ، إلى أبعد الحدود ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه .

تلك صفات شخصية متكاملة مثالية لا تتكرر أبداً


الشمائل

حسن خلقه

قال أنس بن مالك : « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر والحضر ، والله ما قال لى لشىء صنعته : لم صنعته ؟ ولا لشىء لم أصنعه : لم لا صنعت هذا ؟ » .

كان خلقه القرآن ، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه ، وما خير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى ، فينتقم لله بها .

وما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئاً قط ، لا امرأة ولا خادماً ، إلا أن يجاهد فى سبيل الله .

خدمه أنس عشر سنين ، فما قال له : أف . وكان أحسن الناس خلقاً ، لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً فى الأسواق . ولا يجزى بالسيئة مثلها ، ولكن يعفو ويصفح . ولم يكن سباباً ولا لعاناً ولا فحاشاً ، وكان يقول عند المعتبة : ترب جبينه .

وكان طويل الصمت ، قليل الضحك ، وكان أصحابه يذكرون الشعر عنده وأشياء من أمورهم ، فيضحكون ويبتسم .

وكان أصحابه إذا ذكروا الدنيا ذكرها معهم ، وإذا ذكروا الطعام ذكره معهم .

وما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته الا قال : لبيك ! فأنزل الله تعالى : **(وإنك لعلى خلق عظيم)** .

وكان أحسن الناس لأهله ، يعاملهم بالحسنى واللين ، وهو القائل : (أحسنكم أحسنكم لأهله ، وأنا أحسنكم لأهلى) .

وكان إذا لقى واحداً من أصحابه قام معه ، فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذى ينزع عنه .

وكان يلقى الناس بالسلام ، فإذا مر بالصبيان سلم عليهم أيضاً .

حلمه وصفحه

علم النبي صلى الله عليه وسلم أن قبيلة (دوس) إحدى القبائل العربية قد عصت ، فاستقبل القبلة ورفع يديه ، فقال الناس : هلكوا ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (اللهم أهدِ دوساً وائت بهم) .

ومر يوماً بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين ويهود ، وفيهم عبد الله بن أُبَىّ رأس المنافقين ، وفى المجلس عبدالله بن رواحة .

فلما غشيت المجلس عجاجة دابته ، خمر عبدالله بن أُبَىّ أنفه وتردى به ثم قال : « لا تغبر علينا » .

فسلم النبي صلى الله عليه وسلم ثم وقف ونزل ، فدعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن أُبَىّ : « لا أحسن من هذا إذا كان ما تقول حقاً ، فلا تؤذونا فى مجالسنا ، وارجع إلى رحلك ، فمن جاءك منا فاقصص عليه » ، فقال عبدالله بن رواحة : « اغشنا فى مجالسنا ، فإنا نحب ذلك » .

فاستب المسلمون والمشركون ويهود حتى كادوا أن يتواثبوا ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا .

وعفا النبي صلى الله عليه وسلم عن عبدالله بن أُبَىّ . وحين توفى عبدالله بن أُبَىّ صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ومشى معه إلى قبره حتى فرغ منه .

وقدم ثمانون رجلا من أهل مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم متسلحين يريدون غِرَّة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فأخذهم سلماً واستحياهم .

وكان لا تغضبه الدنيا وما كان منها ، فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها .

وكان يمشى يوماً وعليه بُرْدُ نجرانى غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى تأثرت صفحة عاتق النبى صلى الله عليه وسلم بحاشية البرد من شدة جبذه ، ثم قال : « يا محمد ! مر لى من مال الله الذى عندك » . فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ضحك وأمر له بعطاء .

ويوم حنين آثر النبى صلى الله عليه وسلم ناساً فى القسمة ليستميلهم إلى الإسلام ، فقال رجل : « والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله » .

وعلم النبى صلى الله عليه وسلم بما قال الرجل ، فقال : (من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ! رحم الله موسى ، قد أوذى بأكثر من هذا ، فصبر) .

وقيل له : « يا رسول الله ، أدع الله على المشركين ، فقال : (إنى لم أُبعث لعاناً ، وإنما بعثت رحمة) .

ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، طاف بالبيت وصلى فيه ركعتين ، ثم أتى الكعبة وأخذ بعضادتى الباب ، فقال : (ما تقولون وما تظنون ؟!) ، قالوا « نقول أخ كريم وابن عم رحيم » فقال : (أقول كما قال يوسف : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) فخرجوا كأنما نشروا من القبور ، فدخلوا فى الإسلام

وكان عليه أفضل الصلاة والسلام يقول : لا يُبلِّغنِّ أحداً منكم عن أحد من أصحابى شيئاً ، فإنى أحب أن أخرج إليكم سليم الصدر .

تواضعه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبدالله ورسوله) .

وسئلت عائشة رضى الله عنها ، ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع إذا دخل بيته ؟

قالت : « كان يكون فى مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلى » .

وكان لا يحب أن يرفعه أحد فوق منزلته ، وكان بشراً من البشر ، يفلى ثوبه . ويحلب شاته ، ويخدم نفسه ، ويصنع فى بيته كما يصنع غيره من الناس ، يخصف نعله ، ويرقع ثوبه .

وكان يوم الخندق ينقل التراب ، وقد وارى التراب بياض بطنه .

وكان يعود المرضى ، ويشهد الجنائز ، ويأتى دعوة المملوك ، ويركب الحمار .

وكان يقول : (لو دعيت إلى كراع لأجبت ، ولو أهدى إلى ذراع لقبلت) .

وما كان شخص أحب إلى أصحابه منه ، وكانوا إذا رأوه لا يقومون له ، لما يعلمون من كراهيته لذلك .

وما كان يغلق الأبواب دونه ، ولا يقوم الحجاب ، ولا يغدى عليه بالجفان ، ولا يراح عليه بها . ولكنه كان بارزاً ، من أراد أن يلقى نبى الله صلوات الله وتسليمه عليه لقيه .

وكان يجلس بالأرض ، ويضع طعامه بالأرض ، ويلبس الغليظ ، ويركب الحمار ويردف بعده .

وعن أنس رضى الله عنه : « أن امرأة كانت فى عقلها شئ ، فقالت : يا رسول الله ؟ إيت لى إليك حاجة .

« قال : يا أم فلان ، خذى فى أى طريق شئت قومى فيه ، حتى أقوم معك !

فخلا معها رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجيها ، حتى قضت حاجتها» .

وكانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت .

وكان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين فيقضى له حاجته .

وكان يرمى الجمرة فى (منى) كأى فرد من الناس : لا ضرب ولا طرد ، ولا إليك إليك !

وكان يمر بالنساء ، فيبادرهن بالسلام ، كما كان يسلم على الصبيان .

وكان يجلس بين ظهرانى أصحابه ، فيجىء الغريب ، فلا يدرى أيهم هو حتى يسأل .

وقالت عائشة رضى الله عنها : « يا رسول الله ! كل — جعلنى الله فداك — متكئاً ، فإنه أهون عليك » . فقال : (لا ، بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) .

وكان عليه أفضل الصلاة والسلام ، يكثر الذكر ، ويقل اللغو ، ويطيل الصلاة ، ويقصر الخطبة ، ولا يأنف أو يستنكف أن يمشى مع الأرملة والمسكين ويقضى لهما حاجتهما .

وكان إذا صافح أو صافحه الرجل ، لا ينزع يده حتى يكون الرجل ينزع ، وإن استقبله بوجهه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف ، ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له .

شفقته ومداراته

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنى لأقوم فى الصلاة ، فأريد أن أطول فيها ، فأسمع بكاء الصبى ، فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه) .

وتلى عليه أفضل الصلاة والسلام قول الله تعالى : **« رب إنهن أضللن كثيراً من الناس ، فمن تبعنى فإنه منى ، ومن عصانى فإنك غفور رحيم »** وقول عيسى :

« إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم »

فرفع يديه وقال : (اللهم أمتى . . أمتى . .) ، وبكى .

لقد كان رحيما رفيقاً ، فقد أقام عنده قوم عشرين يوماً ، فعلم أنهم قد

اشتاقوا أهلهم ، فسألهم عمن تركوا خلفهم من أهلهم ، فلما أخبروه قال : (أرجعوا إلى أهاليكم فأقيموا فيهم) .

وكان إذا افتقد أحد أصحابه ثلاثة أيام سأل عنه ، فإن كان غائباً دعا له ، وإن كان شاهداً زاره ، وإن كان مريضاً عاده .

حيـــاؤه

كان عليه أفضل الصلاة والسلام أشد حياء من العذراء فى خدرها ، وكان إذا كره شيئاً عرفه أصحابه فى وجهه .

وكان لايواجه أحداً فى وجهه بشىء يكرهه ، وكان إذا بلغه عن رجل شىء لم يقل له : قلت كذا وكذا .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يسأل عن شىء إلا أعطى .

وكان صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن الرجل الشىء لم يقل : ما مال فلان يقول ؟ ولـكن يقول : ما بال أقوام يقولون كذا . . وكذا ؟

رحمته للعـــالمين

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « قيل : يا رسول الله ! أدع على المشركين » .

« قال : إنى لم أبعث لعاناً ، وإنما بعثت رحمة » .

وهذا الحصر مؤيد بقوله تعالى : **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .**

جـــوده

ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط ، فقال : لا ! .

وكان أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، حين يلقى جبريل عليه السلام ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة فيدارسه القرآن .

وكان عليه الصلاة والسلام أجود بالخير من الريح المرسلة .

ولم يكن يسأل شيئاً على الإسلام إلا أعطى ، وقد جاءه رجل فسأله ، فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة . فلما رجع الرجل إلى قومه قال : « يا قوم ! أسلموا ، فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة » .

وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من (حنين) ، علقه الأعراب يسألونه ، حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه » .

« فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ردوا على ردائى ، أتخشون على البخل ؟! فلو كان لى عدد هذه العضاة ذهباً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذاباً ولا جباناً » .

شـــجاعته

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجود النـــاس .

كان فزع فى المدينة المنورة يوماً من الأيام ، فخرج الناس قبل الصوت ، فاستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سبقهم ، فاستنبأ الفزع على فرس عرى ، ما عليه سرج ، فى عنقه السيف ، فقال : (لم تراعوا) .

وقد ثبت يوم (أحد) بعد فرار المسلمين ، واستطاع أن يجمع ساقة حمى بها انسحاب أصحابه ، ثم قاتل قتال الأبطال حتى حل المساء ، فأنقذ بثباته المسلمين من فناء أكيد

ويوم (حـ[illegible] ـمد مع عشرة من أصحابه وأهل بيته ، فقاتل المشركين قتالا شديداً [illegible]ى انقذ الموقف ، فعاد المسلمون ليجدوا عدداً كبيراً من المشركين فى الأسـ[illegible] .

وعن على بن أبى طالب بطل الإسلام قال : « لقد رأيتنى يوم (بدر) ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ » .

وقال : « كنا إذا احمر البأس ولقى القوم القوم . اتقينا برسول الله ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه » .

وقال البراء رضى الله عنه : « كنا إذا احمر البأس نتقى به ، وإن الشجاع منا الذى يحاذى به » .


الجهاد

من الآيات القرآنية فى الجهاد

١ - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون .

(سورة الأنفال)

٢ - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون .

(سورة الحجرات)

٣ - وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين .

(سورة البقرة)

٤ - ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً »

(سورة النساء)

٥ - الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً .

(سورة النساء)

٦ - وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم .

(سورة البقرة)

٧ - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون . وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم .

(سورة التوبة)

٨ — فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما .

(سورة النساء)

٩ — وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا . إن الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشـــد من القتل .

(سورة البقرة)

١٠ — قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ، ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم .

(سورة التوبة)

١١ — يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين .

(سورة الأنفال)

١٢ — قل : إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال أقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين .

(سورة التوبة)

١٣ — أم حسبتم أن تتركوا ولمـــا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ، والله خبير بما تعلمون .

(سورة التوبة)

١٤ – أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمـا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين .

(سورة آل عمران)

١٥ – ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم .

(سورة محمد)

١٦ – يا أيها الذين آمنوا ما لـكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً ، والله على كل شيء قدير .

(سورة التوبة)

١٧ – فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون .

(سورة التوبة)

١٨ – لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، والله عليم بالمتقين . إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون .

(سورة التوبة)

١٩ – أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

(سورة الحج)

٢٠ – كتب عليكم القتال وهو كره لـكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لـكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لـكم ، والله يعلم وأنتم لاتعلمون.

(سورة البقرة)

٢١ – إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص .

(سورة الصف)

٢٢ – يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون .

(سورة الأنفال)

٢٣ – يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين .

(سورة التوبة)

٢٤ – فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فإما مناً بعد وإما فداء ، حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض .

(سورة محمد)

٢٥ – يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً ، تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم ، فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً .

(سورة النساء)

٢٦ – يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير .

(سورة الأنفال)

٢٧ – ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون .

(سورة البقرة)

٢٨ – والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم ، سيهديهم ويصلح بالهم ، ويدخلهم الجنة عرفها لهم .

(سورة محمد)

٢٩ ـ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله . ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

(سورة آل عمران)

٣٠ ـ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم .

(سورة التوبة)

٣١ ـ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما . درجات منه ومغفرة ورحمة ، وكان الله غفوراً رحيما .

(سورة النساء)

٣٢ ـ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

(سورة غافر)

٣٣ ـ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض : أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور .

(سورة الحج)

من الأحاديث النبوية فى الجهاد

١ – عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه : « قلت يا رسول الله : أى الأعمال أفضل ؟ قال : الإيمان بالله والجهاد فى سبيله » .

٢ – عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) » .

٣ – عن أبى سعيد الخدرى : « قيل : يا رسول الله : أى الناس أفضل ؟ قال : (مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله) » .

٤ – عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (جاهدوا فى سبيل الله ، فإن الجهاد فى سبيل الله باب من أبواب الجنة ، ينجى الله تبارك وتعالى به من الهم والغم) » .

٥ – وروى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ أغزوا فى سبيل الله . من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وهبت له الجنة) .

٦ – عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « إن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بشعب فيه عين من ماء عذب ، فأعجبته . فقال : لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب ، ولا أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (لا تفعل ! فإن مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته سبعين عاماً) .

٧ – وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد فى الجهاد فى سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما عليها) .

٨ – وروى أبو داود أن رجلا قال : « يا رسول الله ! إئذن لى فى السياحة » ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله عز وجل) .

٩ ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الجهاد ماض إلى يوم القيامة) .

١٠ ـ وقال عليه الصلاة والسلام : (الجنة تحت ظلال السيوف) .

١١ ـ روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشاً فيهم عبدالله ابن رواحة ، فتأخر ليشهد الصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (والذى نفسى بيده ، لو أنفقت ما فى الأرض ما أدركت فضل غزوتهم) .

١٢ ـ وقال صلى الله عليه وسلم : (لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا) .

١٣ ـ وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : (لأن أشيع غازياً غدوة غزوة أو روحة أحب إلى من الدنيا و مافيها) .

١٤ ـ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (. . . وإذا تركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم) .

١٥ ـ وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : (لغدوة أو روحة فى سبيل الله ، خير مما طلعت عليه الشمس) .

١٦ ـ وقال صلى الله عليه وسلم : (خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله ، كلما سمع هيعة طار إليها) .

١٧ ـ وقال عليه الصلاة والسلام : (مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله ، لا يفتر من صيام وصلاة حتى يرجع المجاهدون)

١٨ ـ وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من رابط فى سبيل الله ، كان له كصيام شهر وقيامه) .

١٩ ـ وقال صلى الله عليه وسلم : (الخيل معقود فى نواصيها الخير والأجر والمغنم الى يوم القيامة) .

٢٠ ـ وقال صلى الله عليه وسلم : (من رابط لله حارساً من وراء المسلمين ، كان له مثل أجر من خلفه ممن صام وصلى) .

٢١ ــ وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : (من راح روحة فى سبيل الله ، كان له بمثل ما أصابه من الغبار مسكاً يوم القيامة) .

٢٢ ــ وقال عليه الصلاة والسلام : (إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاث نفر الجنة : صانعه يحتسبه فى صنعه الخير ، والرامى به ، ومنبله . . وارموا واركبوا ، وإن ترموا أحب إلى من أن تركبوا . ومن ترك الرمى بعد ما علمه رغبة عنه ، فإنها نعمة تركها أو قال كفرها) .

٢٣ ــ وقال صلى الله عليه وسلم : (والذى نفسى بيده ، ما شحب وجه ولا اغبر قدم فى عمل يبتغى به درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة كجهاد فى سبيل الله . ولا ثقل ميزان عبد كدابة تنفق له فى سبيل الله أو يحمل عليها فى سبيل الله عز وجل) .

٢٤ ــ وقال صلى الله عليه وسلم : (من رمى بسهم فهو له عدل محرر) .

٢٥ ــ وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : (من رمى بسهم فى سبيل الله بلغ العدو أو لم يبلغ كان له كعتق رقبة) .

٢٦ ــ وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من لم يغز ولم يجهز غازياً أو يخلف غازياً فى أهله بخير ، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة) .

٢٧ ــ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من جهز غازياً فى سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازياً فى سبيل الله فى أهله بخير فقد غزا) .

٢٨ ــ وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : (من جهز غازياً فى سبيل الله ، كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الغازى شيئاً) .

٢٩ ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه فيما رواه مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو ، مات على شعبة من النفاق) .

٣٠ ــ وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ألا أنبئكم بليلة هى أفضل من ليلة القدر : حارس يحرس فى سبيل الله ، فى أرض خوف ، لعله يثوب إلى أهله أو رحله) .

٣١ ـ وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من رابط ليلة فى سبيل الله سبحانه وتعالى ، كانت كألف ليلة صامها وقامها) .

٣٢ ـ وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ليس شىء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين : قطرة من دموع فى خشية الله ، وقطرة من دم فى سبيل الله أما الأثران ، فأثر مجاهد فى سبيل الله ، وأثر فى فريضة من فرائض الله) .

٣٣ ـ وقال صلى الله عليه وسلم : (من غزا فى البحر غزوة فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يغزو فى سبيله ـ فقد أدى إلى الله طاعته كلها ، وطلب الجنة كل مطلب ، وهرب من النار كل مهرب) .

٣٤ ـ وقال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام : (لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى رجل مسلم) .

٣٥ ـ وعن عبدالله بن العباس رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (عينان لا تمسهما النار . عين بكت من خشية الله تعالى ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله) .

٣٦ ـ وعن أبى الدرداء رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من اغبرت قدماه للجهاد فى سبيل الله ، حرم الله سائر جسده على النـــار) .

٣٧ ـ وعن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما من عبد يموت له عند ربه خير ، يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها ، إلا الشهيد لمـــا يرى من فضل الشهادة ، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى) .

٣٨ ـ وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (الجهاد فى سبيل الله باب من أبواب الجنة ، ومن ترك الجهاد فى سبيل الله ألبسه الله الذل وشمله البلاء وديس بالصغار وسيم بالخسف ومنع النصف) .

٣٩ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا جهاد فى سبيله وإيمان بى

وتصديق برسلى فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذى خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة . والذى نفس محمد بيده ، ما من كلم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم : لونه لون دم ، وريحه ريح مسك ، والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله ، فأقتل ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فاقتل) .

٤٠ ــ وعن أبى موسى الحارثى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من اغبرت قدماه فى سبيل الله ، حرمه الله على النار) .

٤١ ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه : « قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد فى سبيل الله عز وجل قال : (لا تستطيعونه) ، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاث ، كل ذلك يقول : (لا تستطيعونه) ، وقال فى الثالثة : (مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت لآيات الله ، لا يفتر من صلاة ولا صيام ، حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله) » .

٤٢ ــ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يا أبا سعيد ! من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة) ، فقال أبو سعيد : « أعدها على يا رسول الله » ، ففعل ثم قال : (وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة فى الجنة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض) ، قال : « وما هى يا رسول الله ؟ » قال : (الجهاد فى سبيل الله) .

٤٣ ــ وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : (كل الميت يختم على عمله إلا المرابط ، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة) .

٤٤ ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما يجد الشهيد من مس القتل ، إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة) .

٤٥ ــ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (للشهيد عند الله سبع خصال يغفر له أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار) .

٤٦ ــ وقال عليه الصلاة والسلام : (يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته) .

درس فى بناء الرجال

من الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام

— ١ —

كفايات النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة متعددة الجوانب ، وكل صنف من أصناف الناس يستطيع أن يتخذ منه قدوة حسنة تفيده لحاضره ومستقبله ، إذ يمكن أن يجد فيه كفاية خاصة تكون مثالا رائعاً يحتذى بها ، لاتصالها اتصالا مباشراً بحياة ذلك الصنف من الناس .

وبالطبع فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان مؤيداً من الله سبحانه وتعالى ، وكأن لهذا التأييد الإلهى أثر حاسم فى نجاحه بشيراً ونذيراً ، ومشرعاً وقاضياً ، وسياسياً وإدارياً ، وقائداً وجندياً .

وهذا التأييد الإلهى ،لا يمنع مطلقاً من أن يكون لكفاياته الشخصية أثر حاسم أيضاً فى نجاحه ، وصدق الله العظيم :(**الله أعلم حيث يجعل رسالته**)(١) لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة لأصحابه عليهم رضوان الله فى حياته المباركة ، وبقى الأسوة الحسنة لأتباعه بعد التحاقه بالرفيق الأعلى ولا يزال الأسوة الحسنة للمسلمين فى كل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وصدق الله العظيم : (**لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**)(٢) .

والأسوة الحسنة تكون اقتداء بأعماله وأقواله عليه أفضل الصلاة والسلام ، وتلك هى كفاياته العالية الفذة إنساناً سوياً بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين .

— ٢ —

وكما يستطيع كل صنف من أصناف الناس اقتباس ما يفيدهم من كفاياته الإنسانية المتميزة فى حياتهم العملية ، فإن تلك الكفايات يمكن أن تكون

---

(١) سورة الأنعام : (١٢٤) .
(٢) سورة الاحزاب (٢١) .

نبراساً للناس كافة فى ظروف معينة من عمر الزمن تهدى للتى هى أقوم ، وتنير الطريق للسالكين فى دروب الحياة تحقيقاً لأهداف باقية ومثل عليا .

والحرب اليوم هى حرب مصيرية ضد إسرائيل التى لديها مخططات توسعية استيطانية فى البلاد العربية ، فما الذى يفيد العرب لحاضرهم ومستقبلهم فى هذه الظروف العصيبة اقتباساً من نور كفايات الرسول القائد عليه الصلاة والسـلام ؟ .

لقد وجدت بالدراسة المستفيضة لسيرة النبى صلى الله عليه وسلم العطرة ، أن من كفايات النبى صلى الله عليه وسلم المتميزة ، هى قابليته الفذة على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب .

وأستطيع أن أؤكد بكل وثوق ، بأن قابليته الفذة على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، هى من أهم الأسباب الدنيوية لنجاحه فى السلم والحرب على حـد سواء .

كان عليه أفضل الصلاة والسلام ، يعرف أصحابه معرفة دقيقة مفصلة ، وكان يعرف ما يمتاز به كل صحابى من مزايا تفيد المجتمع الإسلامى الجديد ، وكان يستغل تلك المزايا لخير هذا المجتمع وللمصلحة العامة العليا للمسلمين :

وكان فى الوقت نفسه يعرف ما يعانى كل صحابى من مثالب ، وكان يتغاضى عن تلك المثالب ، ويغض الطرف عنها ، ويذكر أصحابه بأحسن ما فيهم ، ويأمر أصحابه أيضاً بالتغاضى عن المثالب ، والإشادة بأحسن ما فى إخوانهم من مناقب تقديراً وإعجاباً .

وكان عليه أفضل الصلاة والسلام بهذا السلوك الرائع الذى التزم به فى كل حياته المباركة : يشيد بالمزايا وينتفع بها لخير المسلمين ، ويغض الطرف عن المثالب ويقومها بالحسنى ، ثم يداويها بما عرف عنه من حكمة وموعظة حسنة وتربية أبوية .

بهذه الخطة الرائعة والطريقة السليمة والأسلوب الحصيف ، كان النبى صلى الله عليه وسلم يبنى الرجال ولا يحطمهم ، ويقوم المعوج ولا يكسره ويشيد للحاضر والمستقبل لا للحاضر وحده أو للساعة التى هو فيها .

لقد كان يعلم علم اليقين ، أن كل إنسان يتسم بمزايا حميدة معينة ، ولـكنه فى الوقت ذاته يعانى من مثالب خاصة ، لأن الكمال لله وحده سبحانه وتعالى ، فكانت إشادته بالمزايا وإشادة أصحابه بها يقوى تلك المزايا ويشد أزرها ، وكان أغضاؤه عليه أفضل الصلاة والسلام وإغضاء أصحابه رضى الله عنهم عن المثالب يقلل من أثرها ، ويتستر عليها ، ويجعلها تتضاءل شيئاً فشيئاً حتى تتلاشى نهائياً أو يضعف تأثيرها وقد تنتهى إلى الأبد .

كان عليه الصلاة والسلام يدرك كل الإدراك ، أن كل إنسان لابد من أن يعانى نقصاً فى ناحية من نواحيه الخلقية ، وكفى المرء نبلا أن تعد معايبه ، فكان يغض الطرف عن ناحية النقص فى أصحابه ، ويستفيد لمصلحة المسلمين من ناحية الكمال ، فلا يكون ذلك النقص سبة ومثلبة على صاحبه ، لأنه كان عليه أفضل الصلاة والسلام يبرز ناحية الكمال ، فينوه بصاحبها ويذكره بها ويثنى عليه أعظم الثناء .

— ٣ —

كان من بين أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من امتاز بالثراء ، فأفاد المسلمون من ماله ، ولم يكلفه عليه أفضل الصلاة والسلام بمصاولة الصناديد والأبطال .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالقيادة ، فولاه قيادة الرجال فى السرايا والغزوات .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالشجاعة الفردية ولم تكن لديه قابلية قيادية ، فاستفاد منه فى مبارزة الشجعان والأقران والقيام بالأعمال الفدائية جندياً من جنود المسلمين .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالرأى الثاقب والتفكير العميق ، فأفاد عليه أفضل الصلاة والسلام من آرائه وحكمته ومشورته .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالشعر المتين والبيان البليغ ، فأفاد المسلمون من شعره وبيانه .

وكان . . . وكان . . . سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة المكرمة فى عمرة القضاء سنة سبع الهجرية الوليد بن الوليد المخزومى أخا خالد بن الوليد رضى الله عنهما قائلا : « أين خالد ؟ » ثم قال : « ما مثل خالد من جهل الإسلام ، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين ، لكان خيراً له ، ولقدمناه على غيره » .

وكتب الوليد بن الوليد بذلك إلى أخيه خالد ، فكان ذلك سبب هجرته إلى المدينة المنورة وإعلان إسلامه .

وقدم خالد بن الوليد المدينة مهاجراً إلى الله ورسوله فى أول يوم من صفر سنة ثمان الهجرية .

قال خالد : « فلما طلعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سلمت عليه بالنبوة ، فرد عليه الصلاة والسلام بوجه طلق ، فأسلمت وشهدت الشهادة الحق ، فقال : النبي صلى الله عليه وسلم : قد كنت أرى لك عقلا رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير . وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلت : أستغفر الله كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله ! فقال : إن الإسلام يجب(١) ما قبله . قلت : يا رسول الله ! على ذلك . قال : اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك . . . فوالله ، ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أسلمت يعدل بى أحداً من أصحابه فيما يحزبه »(٢) .

وولى النبي صلى الله عليه وسلم خالداً قيادة الرجال فى الحرب بعد إسلام خالد .

وما يقال عن خالد بن الوليد ، يقال عن عمرو بن العاص أيضاً ، فقد ولاه قيادة الرجال فى الحرب بعد إسلامه ، وقال عن خالد وعمرو حين قدما المدينة المنورة مسلمين : « ألقت إليكم مكة أفلاذ كبدها »(٣) .

---

(١) يجب : يقطع ويمحو ما كان قبله من الكفر .
(٢) طبقات ابن سعد ٤-٥٢ و ٧-٣٩٤ .
(٣) أسد الغابة ٣-٣٨٢ والاستيعاب ٣-١٠٣٤ .

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه غنياً ، فأفاد المسلمون من ثرائه : ابتاع للمسلمين مربداً(١) بعشرين ألفاً ، وأبتاع للمسلمين بئر (رومة)(٢) وجهز جيش العسرة الذى زحف من المدينة المنورة شمالا بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم لمواجهة جيش الروم فى غزوة (تبوك) حتى ما يفقد هذا الجيش عقالا ولا خطاماً . ولم نسمع أن الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، كلف عثمان بمنازلة الأقران يوم الطعان .

وكان حسان بن ثابت رضى الله عنه شاعراً مجيداً ، فاستفاد المسلمون من قابليته الشعرية ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتركه مع النساء عندما يخرج للقتال .

وكان كثير من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم يعدون من أشجع الشجعان ، ولكنهم بقوا جنوداً فى جيش المسلمين ، ولم يتولوا مناصب قيادية ، لأنهم كانوا جنوداً متميزين ولم يكونوا قادة متميزين .

وكان من بين أصحابه من يحسن القراءة والكتابة ، فجعلهم كتاباً للوحى ، ومحررين لرسائله إلى الملوك والأمراء .

وكان من بينهم إداريون ودعاة وجباة وقضاة ، فولى كل واحد منهم ما يناسب قابلياته وكفاياته .

وقد سأله قسم من الصحابة أن يوليهم مناصب إدارية ، فرد الذين لا يستطيعون النهوض بهذا الواجب ، ثم ذكر لقسم منهم بصراحة متناهية سبب عزوفه عن توليتهم .

عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : « دخلت أنا ورجلان من بنى عمى على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحد الرجلين : يا رسول الله ! أمرنا على بعض ماولاك الله . . وقال الآخر مثل ذلك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إنا لا نولى هذا الأمر أحداً سأله ولا أحداً حرص عليه) .

---

(١) مربد : موضع يجعل فيه التمر لينشف

(٢) بئر رومه : بئر فى عقيق المدينة المنورة وهى من ضواحى المدينة المنورة . انظر التفاصيل فى معجم البلدان ٣–٤

وقال أبو ذر الغفارى رضى الله عنه : « يا رسول الله ! ألا تستعملنى ؟ » .
فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيده على منكبي أبى ذر ثم قال : « يا أبا ذر ! إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا الذى أخذها بحقها وأدى الذى عليها » .

— ٥ —

وقبل حركة المسلمين لفتح مكة المكرمة ، حرص الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام على كتمان حركته من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ، كما حرص على كتمان نياته العسكرية فى الفتح ، حتى يباغت قريشاً ويجبرها على الاستسلام دون إراقة للدماء .

ولكن حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه ، كتب رسالة إلى قريش واعطاها امرأة متوجهة إلى مكة المكرمة ، يخبر فيها قريشاً بنيات المسلمين فى حركتهم لفتح مكة .

وعلم النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الرسالة ، فبعث على بن أبى طالب كرم الله وجهه والزبير بن العوام رضى الله عنه ليدركا تلك المرأة التى تحمل تلك الرسالة ويأخذاها منها ، فأدركاها وأخذا الرسالة التى كانت معها .

ودعا النبي صلى الله عليه وسلم حاطباً يسأله : ما حمله على ذلك ؟ فقال حاطب : يا رسول الله ! أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ! ما غيرت ولا تبدلت ، ولكنى كنت امرءاً ليس له فى القوم من أهل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « يا رسول الله ! دعنى فلأضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق » . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أما إنه قد صدقكم ، وما يدريك ؟! لعل الله قد أطلع على من شهد (بدراً) فقال : اعملوا ما شئتم » . .

شفع لحاطب ماضيه الحافل بالجهاد ، فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمر المسلمين أن يذكروه بأفضل ما فيه .

وعاش حاطب فى مجتمع الصحابة ، لا يشنع عليه أحد ، ولا يذكره الناس إلا بالخير ، ولا يسمعونه إلا ما يشتهى ، ولا يرددون عنه إلا أفضل ما فيه من مزايا وخصال .

— ٦ —

وبعد فتح مكة المكرمة أسلم عكرمة ابن أبي جهل وحسن إسلامه ، ثم أصبح من أعاظم المجاهدين بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، ومن أكابر قادة الفتح الإسلامى العظيم .

وكان أبوه من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين كافة وللدين الحنيف ، وقد لاقى مصرعه فى غزوة (بدر) الكبرى كما هو معروف فمات غير مأسوف عليه ، وتخلص المسلمون بموته من خصم لدود .

وكان الصحابة يذكرون أبا جهل ابن هشام بما فيه ، فلما أسلم ابنه عكرمة وحسن إسلامه قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه عليهم رضوان الله : «عكرمة يأتيكم ، فإذا رأيتموه فلا تسبوا أباه ، فان سب الميت يؤذى الحى(١) » .

هكذا يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرام بالكف عن سب أعدى أعداء المسلمين إكراماً لولده المسلم ، حتى لا يتضايق هذا المسلم نفسياً لسب أبيه ، فتتعقد نفسيته ويضيق ذرعاً بالمجتمع الإسلامى الذى كان يعيش بين أفراده وجماعاته : له ما لهم وعليه ما عليهم .

— ٧ —

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف حق المعرفة كل مزايا أصحابه ، فيفيد من تلك المزايا ، ويبرزها للعيان مشجعاً ويثنى عليها أطيب الثناء مقدراً ، ويغض فى الوقت نفسه عن نواقصه ويتستر عليها .

وكان ذلك هو الأسلوب الفذ الذى لا أسلوب غيره فى بناء الرجال .

فلما التحق عليه أفضل الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى ، كان بين المسلمين قادة وأمراء وولاة وقضاة وعلماء وفقهاء ومحدثون قادوا الأمة الإسلامية سياسياً وإدارياً وفكرياً وأقتصادياً واجتماعياً إلى المجد والسؤدد والخير ، وإلى طريق الحق وسبيل الرشاد .

---

(١) الاستيعاب (٣-١٠٨٣) .

ذلك هو الدرس الذى يجب أن نتعلمه اليوم من سيد القادات وقائد السادات رجل الرجال وبطل الأبطال ، إمام المجاهدين وقدوة العاملين ، النبي العربي الأمى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

هذا الدرس هو : اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، وبناء الرجال لإعداد خير خلف لخير سلف .

إن العرب بخـاصة ، والمسلمين بعامة مطالبون اليوم بأن يستفيدوا من كل فرد منهم مادياً ومعنوياً ، فكل فرد له طاقة معينة فى مناحى الحياة يمكن أن يفيد بها المجتمع الذى يعيش فيه ، والمصلحة العامة التى ينبغى أن تكون هدفاً حيوياً للمجتمع . يجب أن ننوه بالمزايا ونغض الطرف عن المثالب .

يجب ألا نبرز المثالب ، ونغض الطرف عن المناقب .

يجب أن نبنى الرجال ولا نحطم الرجال .

إن الذين يعملون على تحطيم الرجال يخدمون إسرائيل وأعداء العرب والمسلمين فى كل مكان .

إن اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب هو من أهم عوامل بناء الرجال وبناء الأمم أيضاً .

وصـــدق الشاعر :

يبنى الرجال وغيره يبنى القرى   شتان بين قرى وبين رجـــال

والسؤال الآن : كيف استطاع النبى صلى الله عليه وسلم بناء الرجال ، حتى أصبح قرنه بحق خير القرون ؟

ولمـــاذا يحرص أعظم الحرص على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب فيعترف الناس من حوله ، ولا يزال الناس يعترفون حتى اليوم ، أن ذلك الرجل لذلك العمل هو من أعلى المستويات بالنسبة للميسر فى حينه من الرجال؟

الجواب بسيط ، هو أنه كان مثالا حياً يمشى على الأرض فى تطبيق أقواله على أعماله ، فيضرب بذلك للصحابة بمثاله الشخصى أروع الأمثال .

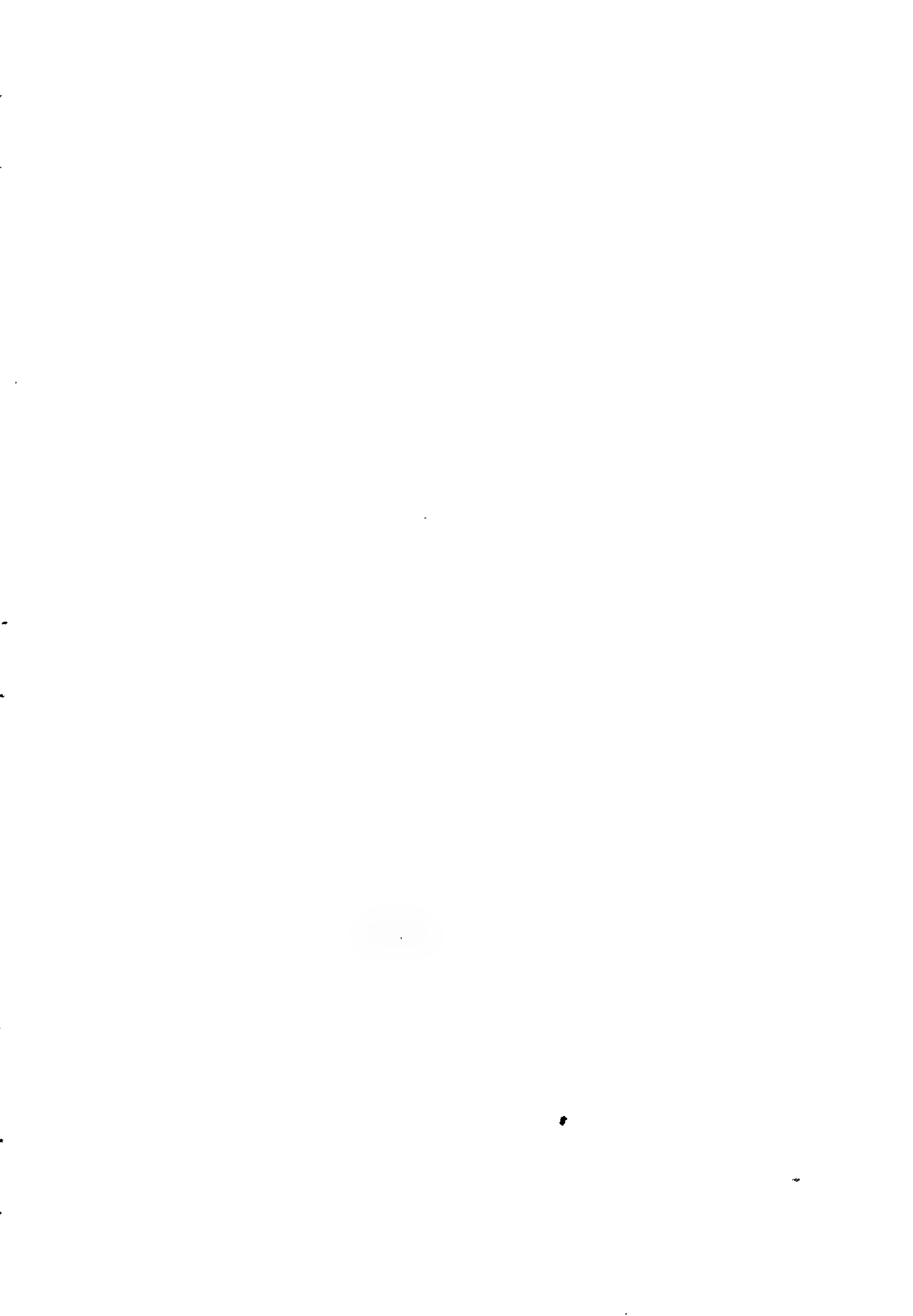
لقد نسى النبى صلى الله عليه وسلم نفسه فى سبيل المصلحة العليا للمسلمين

لذلك استقطب حوله الرجال الأقوياء الأمناء من ذوى الكفايات العالية قوة للمجتمع الإسلامى وأمناً .

وصدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام : « من ولى رجلا وهو يعلم أن هناك من هو أقدر منه ، فقد برئت منه ذمة الله » .

ترى ! !

هل نقتبس هذا الدرس من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم لنستريح ونريح ، أم لا نزال بحاجة إلى كثير من النكسات والنكبات حتى نعود إلى طريق الحق والصواب ؟!



الخاتمة

أسباب انتصارات

الرسول القائد

صلى الله عليه وسلم

أسـباب انتصارات الرسول القائد

عليه الصلاة والسلام

يفاخر المشرعون بالنبي صلى الله عليه وسلم مشرعا فـذا ، ويفاخر السياسيون به سياسيا محنكا ، ويفاخر به الحكام والقضاة حاكما عدلا وقاضيا عادلا ، ويفاخر به العسكريون قائدا عظيما .

ولعل الظروف العصيبة التى يجتازها العرب من المحيط إلى الخليج ، والمسلمون من المحيط إلى المحيط ، تحتم على العسكريين أن يذكروا النبى صلى الله عليه وسلم قائداً مجاهداً ، ويذكروا العرب والمسلمين بأعماله الباهرة فى ميدان القيادة والجهاد .

والمتتبع لحياة النبى صلى الله عليه وسلم ، منذ بعث رسولا إلى أن التحق بالرفيق الأعلى ، يجد أن حياته المباركة فى مكة المكرمة كانت توحيدا من أجل الجهاد ، وحياته الكريمة فى المدينة المنورة كانت جهاداً من أجل التوحيد .

لقد قاد النبى صلى الله عليه وسلم ثمانى وعشرين غزوة خلال سبع سنين بعد هجرته إلى المدينة المنورة ، فقد خرج إلى غزوة (ودان) وهى أول غزوة قادها بنفسه فى صفر فى السنة الثانية الهجرية ، وكانت غزوة (تبوك) آخر غزواته فى رجب فى السنة الثامنة الهجرية . وقد نشب القتال بين المسلمين بقيادته وبين المشركين واليهود بتسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، والطائف ، بينما فر المشركون فى تسع عشرة غزوة منها بدون قتال .

ومع ذلك لم يخفق الرسول صلى الله عليه وسلم فى أى معركة خاضها المسلمون بقيادته ، وحتى غزوة (أحد) لم تكن إخفاقا للمسلمين من الناحية العسكرية ، إذ كانت نصرا سوقيا (استراتيجيا) وإندحارا تعبويا (تكتيكيا) نتيجة لمخالفة الرماة أمر الرسول القائد عليه الصلاة والسلام كما هو معروف .

ما هى إذن أسباب انتصار الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل معركة خاضها ؟ تتلخص الأسباب العسكرية فى ثلاث : قيادة ممتازة هى قيادة النبى صلى الله عليه وسلم ، وجنود ممتازين هم المسلمون الأولون ، قيادة ممتازة وحرب عادلة هى حرب المسلمين لأعدائهم .

إن مجمل صفات القائد الممتاز كما ينص عليها كتاب (نظامات الخدمة السفرية) وهو أوثق المصادر العسكرية الحديثة : « القابلية على إعطاء القرار السريع الصحيح — الشجاعة الشخصية — الإرادة القوية الثابتة — تحمل المسئولية بلا تردد — معرفة مبادئ الحرب — نفسية لا تتبدل فى حالتى النصر والاندحار — سبق النظر — معرفة نفسيات المرءوسين وقابلياتهم — ثقة رجاله به وثقته برجاله — المحبة المتبادلة بينه وبين قواته — شخصية قوية نافذة — قابلية بدنية — ماض ناصع مجيد » .

هذه هى صفات القائدالممتازوهى مستخلصة من دراسة شخصيات أبرز القادة فى التاريخ ، لذلك فهى مجموعة من مزايا شخصيات كثيرة لا شخصية واحدة ، فليس من الممكن أن تتوفر فى شخص واحد .

وسأحاول تطبيق هذه الصفات على شخصية النبى صلى الله عليه وسلم ، استنادا إلى تاريخه العسكرى المجيد .

١ — قــرار سريع صحيح :

لابد للقائد من إصدار القرارات السريعة ، لأن المواقف العسكرية تتبدل بسرعة خاطفة ، وصحيحة حتى تؤدى إلى النصر ولا تؤدى إلى الكوارث ولـكن إصدار مثل هذه القرارات يستند إلى عاملين : القابلية العقلية للقائد أولا ، والحصول على المعلومات التفصيلية الدقيقة عن العدو ثانياً .

وليس هناك من ينكر القابلية العقلية النادرة التى كان يمتاز بها النبى صلى الله عليه وسلم ، تلك القابلية التى لا يختلف فيها المسلمون وغير المسلمين ، فهو الذى بشر وأنذر ، وكافح وناقش عقليات كبيرة ، ووحد

أمة ، وغرس عقيدة ، فهل يمكن أن يتم ذلك بنجاح باهر إلا لعقلية جبارة نافذة ؟

أما الحصول على المعلومات عن العدو ، فيكون بدوريات الاستطلاع ، والقتال وبالعيون ، واستنطاق الأسرى ، والاستطلاع الشخصي ، وباستشارة ذوى الرأى .

لقد كان هدف النبي صلى الله عليه وسلم فى إرسال السرايا والغزوات قبل غزوة بدر الكبرى ، هو الحصول على المعلومات عن المنطقة المحيطة بالمدينة والطرق المؤدية الى مكة والتعرف بسكانها وعقد الأحلاف معهم .

وفى غزوة بدر أرسل دورية أستطلاعية لمراقبة عودة قافلة أبى سفيان وأرسل دوريات استطلاعية أمام قواته المتقدمة باتجاه بدر ، وأرسل دوريتى استطلاع قبل وصوله إلى بدر ، وقام بالاستطلاع الشخصى ليتأكد من قوة قريش والمواضع التى وصلت إليها .

كما استفاد الرسول صلى الله عليه وسلم من استنطاق الأسرى الذين أسرتهم إحدى الدوريات قبيل معركة بدر ، فعلم منهم بأسلوبه الرائع فى الاستنطاق ، الموضع الذى وصلته قريش وعدد قواتها من الرجال .

٢ — شجاعة نادرة وإرادة قوية :

شجاعته بارزة فى كل معاركه ، وفى كل أعماله العسكرية وغير العسكرية على حد سواء .

قراره قبول معركة بدر شجاعة نادرة ، وثباته أمام عشرة آلاف من الأحزاب فى غزوة الخندق شجاعة فذة ، وثباته مع عشرة رجال من أصحابه يوم حنين شجاعة تجل عن الوصف .

وقد نزل فى غزوة بدر الكبرى ليباشر القتال بنفسه ، وفى ذلك يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه : « إنا كنا إذا اشتد الخطب واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه . ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ، وهو أقربنا إلى العدو » .

وثبات النبى صلى الله عليه وسلم وحده ، تجاه التيار الجارف من المشركين منذ نزول الوحى عليه حتى التحاقه بالرفيق ، دليل على إرادته القوية الثابتة التى لا تتزعزع .

وذهب رجال قريش إلى عمه أبى طالب مهددين متوعدين ، فقال له عمه : « يا ابن أخى ! إن قومك قد جاءونى فقالوا كذا وكذا ، فأبق على نفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق ! » فأجابه النبى صلى الله عليه وسلم « والله يا عم ! لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

إن حياة النبى صلى الله عليه وسلم كلها أمثلة رائعة للإرادة القوية الثابتة .

٣ ــ نفسية لا تتبدل :

لم تتبدل نفسية النبى صلى الله عليه وسلم فى حالتى النصر والإخفاق ، فقد كان مسيطرا على أعصابه سيطرة أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة فى أشد المواقف حرجا فى أحلك الظروف .

لم يكن سهلا السيطرة على الأعصاب عند تطويق المشركين له ولأصحابه فى (أحد) من كل جانب ، ولم يكن سهلا السيطرة على الأعصاب يوم الأحزاب (خاصة) بعد غدر اليهود ، ولم يكن ذلك سهلا يوم (حنين) عند انهزام المسلمين وبقائه مع عشرة من رجاله فقط أمام زحف المشركين .

٤ ــ سبق النظـــر :

لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يتمتع بمزيد سبق النظر فى كل أعماله العسكرية وغير العسكرية ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى .

أصر على قبول شروط هدنة (الحديبية) ، لأنه فكر وسبق النظر ، فعرف بفكره الثاقب ، أن قبول هذه الشروط نصر للمسلمين ، فهى تؤمن لهم الاستقرار الذى يتيح لهم الفرصة لانتشار الإسلام ، وهذا ما حدث فعلا ، إذ كان جيش المسلمين ألفا وأربعمائة رجل فى غزوة (الحديبية) ، فأصبح عشرة آلاف رجل فى غزوة فتح مكة بعد سنتين .

٥ — الرجل المناسب للعمل المناسب :

عرف الرسول صلى الله عليه وسلم نفسيات أصحابه وقابلياتهم ، لأنه نشأ بينهم كأي فرد عادي يشاركهم في السراء والضراء .

لقد كان يعرف أن بين أصحابه أبطالا مغاوير ، فكلفهم بواجبات تحتاج الى الشجاعة كأبي دجانة ، وكان يعرف أن بين أصحابه من لا يقوى قلبه على الحرب كحسان بن ثابت ، فتركه مع النساء يوم (أحد) والخندق ، واستفاد من شعره البليغ . وكان يعرف أن من بينهم صاحب الرأي والمشورة ، ومن بينهم من يستطيع قيادة غيره ، ومن بينهم من لا يستطيع أن يكون أكثر من جندي بسيط ، فكلف كل واحد من هؤلاء بواجب يستطيع إنجازه .

لم يعط أحداً أكثر مما يستحقه ويناسب قابلياته ، ولم يكلف أحداً أكثر مما يطيق ويقدر عليه .

٦ — الثقة المتبـــادلة :

كانت ثقة أصحابه عظيمة جداً ، ويكفي أن نذكر موقف المسلمين في صلح الحديبية ، إذ لولا ثقتهم العظيمة به لرفضوا هذا الصلح .

وكانت ثقته بأصحابه عظيمة جداً ، ويكفي للدلالة عليها أنه زج رجاله في غزوة (بدر) بينما كانت قوات المشركين ثلاثة أمثال قوته .

ولا يمكن أن يزج القائد رجاله في معركة لا يعرف مصيرها على أعداء متفوقين تفوقا ساحقاً إلا إذا كان ذلك القائد يثق بقواته ثقة عظيمة جداً .

٧ — المحبة المتبـــادلة :

ظهرت محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، ومحبة أصحابه له في كل غزواته ، بل في كل موقف له في السلم والحرب .

حسبنا أن نذكر موقف أصحابه منه في غزوة (أحد) حين أحدق به المشركون من كل جانب فأخذ المسلمون يصدون عنه النبال بأجسادهم .

٨ – الشخصية القوية النافذة :

أرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفى لمفاوضة النبى صلى الله عليه وسلم فى (الحديبية) ، فعاد إلى قريش يقول : « يا معشر قريش ! إنى جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه ، وإنى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد : لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه ، وإنهم لا يسلمونه لشىء أبداً » .

بهذا الوصف الرائع ، يصف مشرك شخصية النبى صلى الله عليه وسلم .

فما هى أسباب الشخصية القوية النافذة التى كان يتحلى بها النبى الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام ؟ .

لقد كان متواضعا حليما ، رؤوفا رحيما ، ومع ذلك لا يستطيع أحد من أصحابه أن يرفع صوته فوق صوت النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يستطيع أحد منهم أن يديم النظر إلى وجهه المنير ، ولا يستطيع أحد منهم أن يرد له أمراً أو يتردد فى تنفيذه .

٩ – القابلية البدنية :

كانت للنبى صلى الله عليه وسلم قابلية بدنية فائقة ، وقد كان أصحابه يلجأون إليه كلما استعصت عليهم صخرة صلبة قاسية فى حفر (الخندق) ، وقال لصاحبيه اللذين كانا معه يتعاقب الثلاثة على بعير فى طريقهم من المدينة إلى (بدر) : « ما أنتما بأقوى منى ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

وقد شارك أصحابه فى حراساتهم وفى استطلاعاتهم وفى مسيراتهم الطويلة الشاقة فى كل شهور السنة ، وأظهر فى كل ذلك تحملا وجلداً وصبرا عجز عنه أقوى الأقوياء .

١٠ – الماضى الناصع المجيد :

كانت العرب تعتد بالنسب العريق ، والنبى صلى الله عليه وسلم فى قريش أشرف العرب ومن بنى هاشم أشرف قريش . كذلك كان أشرف العرب

حسبا وأفضلهم نسبا من قبل أمة آمنة بنت وهب بن عبد منا ف بن زهرة ومن قبل أبيه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

أما سيرته الشخصية قبل بعثته عليه أفضل الصلاة والسلام ، فأترك سير وليم موير يتحدث عنها ، وهو ليس عربياً ولا مسلما ، حتى يتهم بالتحيز والانحياز .

قال موير : « تجمع كل مراجعنا وأسانيدنا فيما ينسب إلى محمد فى شبابه من سيرة التواضع والاحتشام وطهارة الخلق ، على صورة نادرة الوجود بين المكيين » .

١١ — مبادئ الحـــرب :

مبادئ الحرب ، هى الجوهر الذى ينشئ فى القائد (السجية) الصحيحة السليمة فى تصرفاته العسكرية ، وهى التى تكون عناصر مسلك القائد فى الحرب بصورة طبيعية غير متكلفة .

كان يطبق مبدأ : اختيار المقصد وإدامته ، وقد ظهر ذلك فى أول معاهدة عقدها مع سكان المدينة بعد هجرته إليها ، وكما ظهر بعد ذلك فى كل غزواته .

وكان يطبق مبدأ : التعرض ، ويمكن اعتبار كل غزواته وسراياه تعرضية عدا غزوتى : أحد والخندق ، إذ أن المشركين هم الذين حشدوا قواتهم فى منطقة المدينة وتعرضوا بالمسلمين .

إن التعرض ليس معناه التحرش ، بل معناه الروح الهجومية التى يتحلى بها القائد ، لأن الدفاع وحده لا يؤدى إلى نصر حقيقى بل إلى نصر موضعى فقط فى حالة نجاحه ، أما التعرض فيؤدى فى حالة نجاحه إلى النصر ، فهو يتعرض حين يتأكد من أن التعرض هو أنجع وسائل الدفاع .

وكان يطبق مبدأ : المباغتة ، فباغت أعداءه بالزمان والمكان وبالأساليب القتالية الجديدةوبالأسلحة الجديدة .

وكان يطبق مبدأ : حشد القوة ، فقد عمل منذ نزل الوحى عليه جاهدا

لنشر الدعوة ، ثم هاجر إلى المدينة لجمع رجاله فيها ، ولم يبدأ الجهاد عمليا إلا بعد حشد قواته هناك .

وكان يطبق مبدأ : الاقتصاد بالمجهود ، وهو استخدام أصغر القوات للأمن أو لتحويل انتباه العدو إلى محل آخر .

وكان يطبق مبدأ ، الأمن ، وهو توفير الحماية للقوة ولمواصلاتها لوقايتها من المباغتة ، ومنع العدو من الحصول على المعلومات عن قواتنا .

وكان يطبق مبدأ : التعاون ، وهو توحيد جهود الأسلحة والقطع المقاتلة والإدارية لبلوغ الغرض فى الحرب .

لقد كانت غزواته نموذجا عاليا للتعاون بين المسلمين قبل القتال وفى أثنائه وبعده .

وكان يطبق مبدأ : إدامة المعنويات ، فكانت معنويات المسلمين عالية دوما مما سهل لها إحراز النصر .

وكان يطبق مبدأ : الأمور الإدارية وقد قرن الإسلام الجهاد بالأرواح بالجهاد بالمـــال ، بل يلاحظ فى آيات الجهاد تقديم بذل الأموال على بذل الأرواح مما يدل على اهتمام الإسلام بالأمور الإدارية .

جنـــود ممتـــازون

١ ـ مزايا الجندى المتميز :

تتلخص مزايا الجندى المتميز بما يلى :

عقيدة راسخة ، ومعنويات عالية ، وضبط متين ، وتدريب جيد ، وتنظيم سليم ، وتسليح جيد .

تلك هى مزايا الجندى المتميز فى كل زمان ومكان ، فهل كان جنود النبى صلى الله عليه وسلم يتحلون بهذه المزايا العالية ، التى تجعلهم جيشاً قوياً رصينا ، وهل كانوا يختلفون فى شىء من ذلك عن العرب الذين ينتمون إليهم ؟

والحق أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى جعل جيش المسلمين يتحلى بكل هذه المزايا الرفيعة ، فقد بذل غاية الجهد ليغرس كل هذه المزايا فى نفوس المسلمين ، وبذلك كون منهم قوة لا تغلب ، وكانوا قبل حين كغيرهم من القبائل الأخرى ، تطغى عليهم الأنانية الفردية ، ولا يعرفون معنى الضبط والنظام ، وليست لديهم عقيدة بالمعنى الصحيح .

ليس من السهل أبداً ، أن ينجح إنسان فى تبديل نفسية رجاله من حال إلى حال إلا بعون الله . ونجاحه هذا هو معجزة واقعية أكبر وأعظم من معجزات الخيـــال .

٢ ــ تفصيل المزايـــا :

(ا) عقيدة راسخة :

آمن المسلمون برسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، فهم يقاتلون لحماية ما آمنوا به من العدوان حتى تكون كلمة الله هى العليا ، وفى سبيل الدفاع عن عقيدتهم التى آمنوا بها كل الإيمان ، تركوا أوطانهم وأموالهم وعرضوا أنفسهم للخطر ، وقاتلوا حتى أولادهم وأهليهم وعشيرتهم .

لقد بذلوا كل شىء رخيصا فى سبيل الدين الذى اعتنقوه .

التقى الآباء بالأبناء والأخوة بالأخوة والأهل بالأهل خالفت : بينهم المبادئ ففصلت بينهم السيوف .

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه مع المسلمين ، وكان ابنه عبد الرحمن مع المشركين ، وكان عتبة بن ربيعة مع قريش وكان ابنه حذيفة مع المسلمين .

وعندما استشار النبى صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مصير أسرى (بدر) ، قال عمر : « أرى أن تمكنى من فلان ، قريب عمر ، فأضرب عنقه ، وتمكن عليا من أخيه عقيل بن أبى طالب فيضرب عنقه ، وتمكن الحمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هوادة للمشركين » .

ولما سحبوا جثة عتبة بن ربيعة الذى قتل يوم (بدر) لتدفن فى القليب ، نظر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ابنه حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير لونه . فقال له : « يا حذيفة ! لعلك قد دخلك فى شأن أبيك شيء » ؟.

قال حذيفة رضى الله عنه : « لا والله يا رسول الله فما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكنى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت مامات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجو له ، أحزننى ذلك » .

وفى غزوة بنى المصطلق ، حاول عبد الله بن أُبَىّ رأس المنافقين أن يثير الفتنة بين المهاجرين والأنصار ، فأصدر الرسول صلى الله عليه وسلم أمره بالحركة فوراً حتى لا يستفحل أمر الفتنة . وعند وصول المسلمين إلى المدينة ، تقدم عبد الله بن عبد الله بن أُبَىّ يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأمره بقتل أبيه لأنه حاول إشعال نار الفتنة ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم عفا عنه قائلا لولده المؤمن : « إنا لا نقتله بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا » .

وفى غزوة بنى قريظة طلب يهود حضور أبى لبابة لاستشارته ، فسمح الرسول صلى الله عليه وسلم له بالذهاب إليهم . وسأله يهود : « هل ينزلون على حكم محمد ؟ » ، قال لهم : « نعم » ، وأشار إلى حلقه كأنه ينبههم إلى أن مصيرهم الذبح .

لم يعرف أحد من المسلمين بإشارة أبى لبابة هذه إلى حلقه حين استشاره يهود ، لكنه أدرك لفوره بأنه خان الله ورسوله بإشارته تلك ، فمضى هائما على وجهه حتى ربط نفسه إلى سارية فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وبقى على حاله هذا حتى تاب الله عليه .

وقبيل غزوة الفتح جاء أبو سفيان بن حرب إلى المدينة ، فقصد دار أم حبيبه ابنته وزوج الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكنها طوت الفراش عن والدها ، لأنها رغبت بالفراش عن مشرك نجس ولو كان هذا المشرك أباها الحبيب .

لقد أنفق المسلمون أموالهم فى سبيل الله ، حتى تخلل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالعباءة ، وكان يملك أربعين ألف دينار قبل الإسلام .

فما الذى يدفع لمثل هذه الأعمال الرائعة غير العقيدة الراسخة والإيمان العميق ؟

وهل يقاتل أصحاب مثل هذه العقيدة كما يقاتل الذين لا عقيدة لهم إلا أهواء الجاهلية وعصبية الأنانية وحب الفخر والظهور ؟

إن عقيدة المسلمين بسمو أهدافهم جعلتهم يستميتون فى القتال دفاعا عن تلك الأهداف .

(ب) معنويات عالية :

لا قيمة لأى جيش مهما يكن ضخما فى عدده ، دقيقا فى تنظيمه ، متميزا فى تسليحه ، ما لم تكن معنوياته عالية .

كان الجيش الإيطالى فى الحرب العالمية الثانية مجهزا بأحدث الأسلحة وأشدها فتكا ، وكان تنظيمه دقيقا وعدده كبيرا ، ولكن معنوياته كانت منهارة ؛ فأصبح عبئا ثقيلا على الألمان ، فكان الحلفاء يطلقون على المواضع التى يحتلها الإيطاليون تعبير : (الفراغ العسكرى) ، لأنهم كانوا يستسلمون دون قتال ، كلما حاق بهم الخطر الحقيقى أو الوهمى . . . فكان وجودهم وعدم وجودهم سواء .

شجع الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه قبل معركة (بدر) وفى أثنائها ، وقوى معنوياتهم ، حتى لا يكترثوا بتفوق قريش عليهم فى العدد ، فكانت معنويات المسلمين عالية فى تلك المعركة .

حتى معنويات الأحداث الصغار منهم كانت عالية للغاية كما جرى فى تسابق ابنى عفراء لقتل أبى جهل .

هل كان بإمكان المسلمين الانتصار فى غزوة (بدر) والقيام بمطاردة المشركين بعد يوم فى غزوة (أحد) ، والثبات فى غزوة الأحزاب ، والإقدام على غزوة (تبوك) ، لو لم تكن معنوياتهم عالية جداً ؟

وكما عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على رفع معنويات أصحابه بشتى

الطرق والمناسبات ، عمل على تحطيم معنويات أعدائه بشتى الطرق والمناسبات أيضا ، وما كانت غزوة (الحديبية) و (عمرة القضاء) وغزوة (تبوك) إلا معارك معنويات لا معارك ميدان .

ان عمرة القضاء فتحت قلوب أهل مكة ، لأنها حطمت معنوياتهم ، وغزوة الفتح فتحت أبوابها .

كما أن نتيجة غزوة (تبوك) اندحار معنوى للروم ، وبذلك اطمأن العرب إلى أن بامكانهم مقاتلة الروم ، وكانوا سابقا يظنون أن ذلك من المستحيلات .

لقد استهدف الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل غزواته تحطيم معنويات أعدائه ، بل إنه كان يستهدف تحطيم المعنويات أكثر مما كان يستهدف تحطيم القوى المادية لأنه كان يطمع دائماً فى عودة أعدائه إلى الصراط المستقيم والهداية ، فيحرص على بقائهم أحياء طمعا فى هدايتهم : « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » .

إن أكثر غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم كانت معارك معنويات تؤثر فى النفوس والقلوب ، لا معارك خسائر تؤثر فى الأرواح والممتلكات .

ويجب ألا ننسى هنا أثر اعتقاد المسلمين بالقضاء والقدر فى رفع معنوياتهم لاقتحام الأخطار بشجاعة خارقة ، لأن القدر سيكون حتما والشهيد فى الجنة ، وإنما هى إحدى الحسنيين ، النصر أو الشهادة : (قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا) .

(ج) ضبط متين :

كان المسلمون يطيعون النبى صلى الله عليه وسلم إطاعة لا حدود لها ، وينفذون أوامره حرفيا بدون تردد وبكل حرص وأمانة مهما تكن ظروفهم صعبة وواجباتهم شاقة .

وليس هناك ما يسوغ ذكر أمثلة على قوة ضبط المسلمين ، لأن الأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى ، ولأن الإطاعة فى الإسلام دين : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) .

(د) تدريب راق :

اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بتدريب أصحابه على الرمى وركوب الخيل ، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام : (من ترك الرمى بعدما علمه ، فإنما هى نعمة كفرها) .

ولم يقتصر الرسول صلى الله عليه وسلم على حث أصحابه للتدريب المستمر على الرمى وركوب الخيل وهو ما نسميه فى الوقت الحاضر : بالتدريب الفردى . . . بل دربهم على تشكيلات مسير الاقتراب وأساليب القتال وواجبات الحراسات والخفراء وهو ما نسميه فى الوقت الحاضر : بالتدريب الإجمالى .

اتخذ التشكيلات التعبوية المناسبة فى مسير الاقتراب فى كل غزواته ، فأمن بذلك الحماية اللازمة لقواته وحرم العدو من مباغتتها .

وقاتل بأسلوب (الصفوف) فى معركة (بدر) ومعركة (أحـــد) وفى أكثر غزواته الأخرى ، ونظم المواضع الدفاعية وراء (الخندق) فى غزوة الأحزاب وأمن حراسة النقاط الخطيرة فى ذلك الخندق .

وقام بقتال المدن والأحراش فى قتاله ضد يهود ، كما قامت سرية أبى سلمة رضى الله عنه بالهجوم فجرا على بنى أسد ، والنجاح فى هذين القتالين يدل على تدريب راق .

كما قام بمسيرات طويلة شاقة فى مختلف الظروف والأحوال ليلا ونهارا ، مما يمكن اعتباره تدريبا عنيفاً .

كل هذا التدريب الفردى والإجمالى والتدريب العنيف ، جعل تدريب المسلمين راقيا ، وجعلهم قادرين على القتال بكفاية فى مختلف الظروف والأحـــوال .

(هـ) تنظيم سليم :

كان جيش المسلمين مؤلفا من المهاجرين والأنصار ومسلمى أكثر القبائل المعروفة حينذاك ، ومعنى ذلك : أن جيش المسلمين كان مؤلفا من كل القبائل العربية لا من قبيلة واحدة ، لهذا فإن انتصاره لا يعد فخرا

لقبيلة دون أخرى ، كما أن إخفاق أية قبيلة فى التغلب عليه لا يعد عارا عليها ، لأن هذا الجيش لم يكن لقبيلة دون أخرى ، بل لم يكن للعرب دون غيرهم ، إنما كان للاسلام ولمعتنقى هذا الدين من العرب وغيرهم .

إننى أعتقد أن هذا التنظيم الذى لا يخضع إلا للعقيدة الموحدة فقط دون غيرها من المؤثرات ، جعل القبائل كلها لا تحرص على مقاومة جيش المسلمين حرصها على مقاومة قبيلة خاصة ، وهذا سهل مهمة المسلمين فى القتـــال .

(و) تسليح جيد :

أصبح تسليح المسلمين بالتدريج جيداً ، بعد أن كان المشركون متفوقين على المسلمين بالتسليح حتى انتهاء غزوة الخندق .

يكفى أن نسمع وصف الكتيبة الخضراء التى كان على رأسها النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الفتح ، فقد كان أفرادها لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد .

وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم على صناعة السلاح فقال : « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب فى عمله الخير ، والرامى به ، والمعد له ، فارموا واركبوا ، وإن ترموا أحب إلى من أن تركبوا » .

حـــرب عادلة

١ ــ معنى الحرب العادلة :

« هى حرب توجه ضد شعب ارتكب ظلما نحو شعب آخر ولم يشأ رفعه ، ويشترط فيها أن تكون مطابقة للقواعد الإنسانية ، وتكون لغرض تحقيق سلم دائم ، ووجوب احترام حياة وأملاك الأبرياء وحسن معاملة الأسرى والرهائن » .

هذا هو معنى الحرب العادلة كما تنص عليه مصادر قوانين الحرب والحياد فى القانون الدولى .

الحرب العادلة إذاً ، حرب دفاعية لا عدوانية ، تستهدف تحقيق سلم دائم ، أغراضها إنسانية ، تحترم حياة وأملاك الأبرياء ، وتعامل الأسرى والرهائن بالحسنى .

إن شروط الحرب فى الإسلام قبل أربعة عشر قرنا كانت أكثر عدلا مما تنص عليه مصادر القانون الدولى فى القرن العشرين ؛ فهى بالإضافة إلى ذلك لا تثيرها العنصريات ولاحب الأمجاد ، وليست لأغراض مادية أو استعمارية ، وتدافع عن حرية الرأى والعقيدة .

٢ ــ تفصيل معنى الحرب العادلة :

(ا) حــــرب دفاعية :

ارتكبت قريش كل الظلم والعدوان ضد المسلمين عندما كانوا فى مكة ، فلم يبق هناك مجال للمسلمين غير ترك أموالهم وأهليهم والهجرة من مكة إلى الحبشة أولا وإلى المدينة أخيراً تخلصا من هذا الظلم والعدوان .

هاجر أكثر المسلمين من مكة فرارا بعقيدتهم فقط ، تاركين فيها كل ما يملكونه من أهل ومال ، وكان أكثر هؤلاء المهاجرين من الذين حمتهم عصبيتهم من أن يصيبهم ما أصاب المستضعفين فى الأرض من المسلمين الذين عذبتهم قريش ولقوا مصارعهم من جراء هذا التعذيب .

حتى الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه ، لاقى التكذيب والإهانة واستمع بصبر عجيب إلى دعايات قريش الكاذبة ضده ومكافحتها العنيفة للدين الجــديد .

وقد نجا الرسول صلى الله عليه وسلم من مؤامرات قريش المحكمة التى دبرتها لاغتياله ، كما نجا من مطاردة قريش له فى هجرته من مكة إلى المدينة متحملا المشاق والأهوال .

فأى ظلم وعدوان أكبر من هذا الظلم والعدوان الذى أصاب المسلمين ؟ ولـكن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما فتح مكة قال لقريش : « إذهبوا فأنتم الطلقاء » ! !

لم يقاتل الرسول صلى الله عليه وسلم عدوا إلا مضطرا لقتاله ، وكل

غزواته كانت لرد اعتداء خارجى أو داخلى لإحباط نية اعتداء ، ولم يجد من عدو ميلا للسلام إلا بادر إلى تشجيع هذا الميل ، والارتباط بهذا العدو بالمحالفات .

إن دراسة أسباب غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بروح محايدة بعيدة عن الهوى ، تثبت أن المسلمين لم يعتدوا على أحد ، لأن الله لا يحب المعتدين .

كما أن تلك الدراسة تثبت أن المسلمين لم يريدوا بقتالهم إكراه الناس على الدخول فى الإسلام ، فقد بقى كثير من رجالات قريش على الشرك بعد الفتح وشهدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم غزوة (حنين) ، وكان المسلمون يعرفون أن هؤلاء لا يزالون على عقيدتهم الأولى ، ومع ذلك لم يجبرهم أحد على تبديل دينهم : (لا إكراه فى الدين) . . . (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ؟!

من هؤلاء صفوان بن أمية وأبو سفيان بن حرب وكلدة بن الجنيد .

ألم يكن بإمكان المسلمين أن يجبروا هؤلاء على اعتناق الإسلام ، بعد أن استسلمت قريش وفتحت مكة أبوابها للمسلمين ؟؟

إن القول بأن هدف القتال فى الإسلام هو نشر الدعوة هراء لا يستند إلى الواقع ، ولـكن هدف القتال هو حماية حرية نشر الدعوة ، وحماية الدعوة وإقرار السلام ، وشتان بين الهدفين .

ومع أن الحرب الإسلامية دفاعية لأنها بعيدة عن الظلم والعدوان ، الا أن هذا الدفاع غير مستكن ، بل هو دفاع تعرضى كما يسمى فى المصطلحات العسكرية الحديثة ، ومعناه أن المسلمين لا يبدءون بالاعتداء ، ولـكنهم يدافعون عن أنفسهم ضد كل اعتداء بالهجوم المضاد لسحق قوات المعتدين .

(ب) حرب لتوطيد السلام :

أظهر مشركو المدينة ويهودها بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ميلا إلى السلم ، فشجع الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الميل السلمى وعقد معهم معاهدة أمنت لجميع سكان المدينة حرية الرأى والأمن .

وقد حالف الرسول صلى الله عليه وسلم كل قبيلة أظهرت رغبتها فى السلام كما فعل مع بنى ضمرة فى غزوة (ودان) ومع بنى مدلج فى غزوة (العشيرة) ومع قريش فى غزوة (الحديبية) .

بل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبذل كل جهده لتحقيق أهدافه السلمية ، حتى لو أدى ذلك إلى تذمر قسم من أصحابه ، كما حدث فى غزوة (الحديبية) .

إن السلام يضمن الاستقرار ، وقد انتشر الإسلام فى فترة صلح (الحديبية) – وهى فترة سلام – إنتشاراً عظيما بين الناس لم ينتشره فى أيام الحرب ، بل إن انتشاره فى أيام السلام كان أضعافا مضاعفة لانتشاره فى أيام القتال .

إن الجنوح إلى السلم دين : (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) ، فلا عجب إذا رأينا الرسول صلى الله عليه وسلم يقبل بل يشجع كل العروض السلمية التى تقدم بها أعداؤه فى كل مكان وزمان .

إن السلم فى الإسلام هى القاعدة الثابتة ، والحرب هى الاستثناء .

ولكن الإسلام يدعو للسلام لا للاستسلام : يسالم من يسالمه ويعادى من يعاديه ، فلا يعتدى على أحد ولا يظلم أحداً ، ولا يرتضى للمسلمين الظلم والعدوان .

(ج) حرب إنسانية :

أولا : احترام الأبرياء :

لم يتعرض الرسول صلى الله عليه وسلم لغير المقاتلين فى غزواته ، وحرص على صيانة واحترام أرواح وأموال الأبرياء .

لما استسلم بنو قريظة ، قتل المسلمون الرجال الذين قاتلوهم (فعلا) لأنهم خانوا عهودهم وعرضوا المسلمين للفناء . أما الأطفال والنساء من بنى قريظة فلم يصابوا بأذى ، كما أن الذين ثبتوا على عهودهم من يهود لم يصابوا بسوء أيضاً .

والمرأة الوحيدة التي قتلت من بنى قريظة ، هي التى قتلت مسلما

بقذفه بالرحى من فوق سطحها ، فكان قتلها عقاباً لها على جنايتها هذه ، كما هو واضح ومعروف .

ولما خرج المسلمون لغزوة (مؤتة) أوصاهم النبي صلى الله عليه وسلم بألا يقتلوا النساء والأطفال والمكفوفين ولا يهدموا المنازل ولا يقطعوا الأشجار .

إن البرئ لا يؤخذ بجريرة المذنب . (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ، هذا هو مبدأ الإسلام الذى لا يحيد عنه .

ثانيا : الأسرى والرهائن :

أسر المسلمون سبعين أسيراً من قريش فى غزوة (بدر) ، فقسم ثمانية وستين أسيراً من هؤلاء على أصحابه قائلا : « استوصوا بالأسارى خيرا » .

ثم فادى أغنياء الأسرى بالمال ، أما الفقراء فأطلق سراح قسم منهم دون مقابل ، وكلف المتعلمين منهم بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة ، ثم أطلق سراحهم بعد تعليم هؤلاء الأطفال .

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بقتل أسيرين من السبعين أسيرا ، لأنهما أجرما بحق المسلمين وعذب المستضعفين منهم وشنعا على الإسلام ، فكان قتلهما لجرائمهما لا لأنهما أسيران .

إن هذين الأسيرين كانا (مجرمى حرب) كما يطلق عليهما فى التعابير العسكرية الحديثة وعقابهما كان جزاءا لما جنت أيديهما من ذنوب وآثام .

كما فادى الرسول صلى الله عليه وسلم الأسيرين اللذين وقعا بأيدى سرية عبد الله بن جحش ، فأسلم أحدهما وعاد الثانى أدراجه إلى مكة آمنا .

ذلك ما طبقه المسلمون بحق الأسرى ، وهو ما ينطبق على أحدث قوانين معاملة الأسرى فى العصر الحاضر .

أما الرهائن ، فلم يرو التاريخ أن المسلمين اعتدوا عليهم لأن الرهائن أمانة ، والقرآن الكريم يقول : (لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) .

ثالثا : الجرحى والقتلى :

كان قسم من أسرى المشركين فى غزوة (بدر) الكبرى جرحى ، وقد اعتنى المسلمون بتمريضهم عنايتهم بجرحاهم سواء بسواء .

ولم يهمل المسلمون قتلى المشركين فى (بدر) ولم يتركوهم فى العراء ، وقد دفنهم المسلمون كما دفنوا قتلى المسلمين .

أما المشركون فقد مثلوا بشهداء المسلمين فى (أحد) أفظع تمثيل .

٣ - حـــرب عقيدة :

(أ) لا أغراض شخصية :

لم تعلن الحرب فى الإسلام لأغراض شخصية ، لأن الإسلام فى حقيقته دعوة للمصلحة العامة وتقديم للصالح العام ، ولو أدى ذلك إلى تناس مصالح الأشخاص .

ولم تعلن هذه الحرب لأطماع شخصية وحب السيطرة والأمجاد ، فقد بعثت قريش عتبة بن ربيعة وهو رجل رزين هادئ ، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : « يا ابن أخى : إنك منا حيث علمت من المكان والنسب ، وقد أتيت قومك بأمر عظيم : فرقت به جماعتهم ؛ فاسمع منى أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها . إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا » . ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكترث بكل هذا الأغراء .

واشتدت عداوة قريش ، وعظم على أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم فراق قومه وعداوتهم له ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يا عماه ! والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته » .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يردد دائماً قوله تعالى : (قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد) ، ولم يترفع أبداً عن الفقراء والضعفاء والمساكين والخدم ،وسيرته فى كل ذلك مضرب الأمثال .

إن حماية حرية نشر العقيدة هى التى أثارت الحرب فى الإسلام ، ولم يكن من أسباب إثارتها الأغراض الشخصية من بعيد أو قريب .

(ب) حــرب لا عنصرية :

ليس الإسلام دينا لقبيلة دون قبيلة ، ولا لأمة دون أمة ، ولا للعرب دون العجم ؛ ولـكنه للناس جميعاً للعالمين ! . . . (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً) ، فالإسلام يعمل لفكرة جليلة ، فكرة وحدة الناس تحت لواء الإسلام .

إنه دين يقاوم العصبية والتعصب ويكافح العناصر والأجناس ، لأنه يريد أن يجمع العالم كله على صعيد واحد : لتوحيد كلمتهم وتوحيد الله .

(إنما المؤمنون إخوة) ، و « ليس لعربى فضل على أعجمى إلا بالتقوى » ، و « سلمان منا آل البيت » ، كلها معناها : إن الإسلام قومية ودين تنصر فيه كل قومية وكل دين ، هودنيا ودين . . سيف وكتاب . . مذهب فى الحيــاة .

إن الحرب الإجتماعية التى دعا إليها الألمــان ترتكز على العنصرية الجرمانية ، وهناك التفريق العنصرى بين البيض والسود فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى جنوب افريقية وغيرها من البلاد ، كل هذا يجرى فى القرن العشرين عصر النور والمدنية والذرة والصواريخ عابرة القارات .

أما الإسلام قبل أربعة عشر قرنا ، فقد قاوم العنصريات والأجناس ودعا إلى توحيد الأهداف ، فمن آمن بالإسلام كان دمه وعرضه وماله حراما على المسلمين : « المسلم أخو المسلم » .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم من قريش ، ولـكنه قاتل قريشا حين اعتدت على المسلمين ! وكان عربيا ، ولـكنه قاتل قومه العرب دفاعا عن الإسلام .

ولمــا تصدى الروم لعرقلة دعوته ، قاتلهم . وبعد أن التحق بالرفيق الأعلى ، قاتل حلفاؤه الفرس والروم وغيرهم من الأقوام والأجناس .

والذين كانوا أعداء المسلمين على اختلاف قومياتهم وأجناسهم قبل

اسلامهم ، انصهروا بعد اسلامهم بالمسلمين ، فاصبح عليهم ما على المسلمين ولهم ما للمسلمين .

إن الاسلام ساوى بين الناس فى الدنيا وفى الآخرة . . . أمام الناس وأمام الله : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

(ج) حــرب لا مادية :

لم يكن من أغراض القتال فى الإسلام الاستحواذ على المــادة والبحث عن الأسواق والخامات واسترقاق المرافق وفرض الاستعمار .

خرج المسلمون للتصدى لقافلة أبى سفيان بن حرب العائدة من الشام فى غزوة (بدر) الكبرى لأنهم أرادوا أن يحرموا قريشا من طريق مكة ــ الشام التجارية فيؤثرون بذلك فى أوضاعها الاقتصادية حتى يخففوا من غلواء عدوانهم على المسلمين .

ولكن تلك القافلة أفلتت من أيدى المسلمين ، ومع ذلك اصطدمت قواتهم بالمشركين ، وكان بامكانهم العودة إلى المدينة بأمن وسلام بكل يسر وسهولة .

ولو كانت الناحية المادية هى التى دعتهم للخروج إلى (بدر) ، لعادوا أدراجهم عندما علموا بوصول قافلة قريش سالمة إلى مكة .

وبعد غزوة (حنين) ، انتظر الرسول صلى الله عليه وسلم حوالى شهر قدوم وفد هوازن إليه ليعيد إليهم ما غنمه المسلمون من أموالهم ، ولكنهم لم يحضروا ، فاضطر إلى تقسيم الغنائم ، وأعاد السبي إلى وفد هوازن الذى وصل بعد تقسيم الغنائم على النــاس .

ولكن ما هو نصيب الرسول صلى الله عليه وسلم من الغنائم ؟ إنه الخمس ، وهذا الخمس مردود عليهم ، لأنه يصرف فى مصالحهم العسكرية وغير العسكرية ، فهل أبقى الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه شيئاً من المــال ؟

قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : « لم يمتلىء جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعاً قط ، وإنه كان فى أهله لا يسألهم طعاما ولا يشتهاه ، إن أطعموه أكل وما أطعموه قبل ، وما سقوه شرب » .

رقم الإيداع ١٩٧٨/٥٧٢٠

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ ا شارع نشاطى - شبرا - القاهرة
تليفون : ٥٥٢٢١